مسرحية

القلوب النهمة أو الظمأ

تأليف : جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

العنوان الأصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

LES CŒURS AVIDES

(La Soif)

Pièce en trois actes

LA TABLE RONDE
8, RUE GARANCIÈRE, 6e
PARIS

مقدمة

مسرحية القلوب النهمة بقلم المترجم

اذا كان « جبرييل مارسل » قد كتب مسرحية « رجل الله » فى فترة القلق والتردد والحيرة قبل تحوله النهائي الى الكاثوليكية ، فانه كتب مسرحية « الظمأ » أو « القلوب النهمة » بعد أن استقر على الايمان ، وانتهى الى ذلك التحول . وهذه المسرحية امتداد لمسرحية سابقة هى « الرمح » ، من حيث الاتجاه السائد والروح الشائعة فيها ، ولكنها تختلف معها اختلافا بيِّنا من حيث المضمون . ففى مسرحية « الرمح » عبارة لاحدى الشخصيات تقول فيها : « لو لم يوجد سوى الاحياء لأصبحت الأرض غير صالحة للسكنى » ، وسنرى ان « القلوب النهمة » هى بمعنى من المعانى نداء حار الى منابع النور والاكتمال التى تريدنها بالموت ، أو كما يقول « آرنو » — أحد أبطال المسرحية — « اننا بالموت ننفتح على كل ما عشنا من أجله على الأرض » .

وهذه المسرحية تبدأ فى جو من الشك القاتل والقلق الممزق والحيرة اليائسة وتدور حول سر غامض لا نبلغ له تفسيرا ، وتنتهى بالايمان والحب والتضحية والانسجام العائلى . فهى مسرحية من المسرحيات المؤدية الى الايمان ، ان صح هذا التعبير ، وقد وضع فيها « مارسل » كثيرا من نفسه ، وأحاطها بالظروف والملابسات التى تذكرنا تذكيرا قويا بالجو الذى نشأ فيه ، وبالتساؤلات التى ألحت عليه فى طفولته الخالية من حنان الأم .

والمسرحية دراما عائلية ، أبطالها هم «آل شارتران» : الجدة «مدام شارتران» ، والأب « أميدية شارتران » وابنته « ستللا » وابنه « آرنو » . أما الام فقد توفيت فى ظروف غامضة بعد أن احتجزت فى احدى المصحات العقلية لفترة طويلة ، وتزوج الأب بعدها من صديقة لها تدعى « ايفيلين » ، وتدور أحداث المسرحية بعد هذا الزواج بحوالى ثمانية عشر شهرا .

وحين تبدأ المسرحية نرى « ستللا » فى أزمة نفسية عنيفة ، فهى تريد أن تكشف عن السر فى وفاة أمها ، تلك الوفاة التى اكتنفها الغموض ، وهى تتخبط وحدها ـ لأن « آرنو » شقيقها لا يشاركها هذا الفضول ـ فى تكهنات لا نهاية لها ، وما من احد يريد أن يحدثها بالتفصيل عن المرض الذى أودى بحياة الأم ، بل انها لم تعلم بموتها الا بعد انقضاء ثلاثة أسابيع . وفى حوار لها مع « آرنو » تقول ان ما يدفعها الى التنقيب عن هذا السر ليس فضولا ، بل نوعا من القلق ، من تأنيب الضمير « ... لا أستطيع أن أفكر فى أمى كما ينبغى أن يكون التفكير ، ما دمت لا أعرف كيف كانت حياتها » . وحين يسألها « آرنو » : ولماذا لا تستطيعين ؟ تجيبه : « لأننى لا أعرف الصلاة . » (الفصل الاول ـ المنظر الرابع) .

المسرحية اذن منذ البداية رغبة فى اجتياز ذلك الحاجز الذى يفصل بين الأحياء والأموات ، واستدعاء قوى لـ « حضور » من أحببناهم بعد أن رحلوا عن عالمنا الأرضى .

وتلتقى « ستللا » مصادفة « بالآنسة فرو » ـ وهى عانس كانت فى يوم ما مدرسة للزوجة المتوفاة ، فتدعوها الى زيارتهم ، وحين تتم هذه الزيارة يعترض « أميدية » الأب على انفراد ابنته بالآنسة « فرو » فتجابهه هذه الأخيرة بتلك العبارة التى تشعل الشك فى قلب ستللا : « أهناك اذن ما تخشاه ؟ » (الفصل الاول ـ المنظر ١٤)

وتزداد « ستللا » ارتيابا حين تعلم من « الآنسة فرو » أن الأم قد تركت خطابا لآرنو ، وأوصت موثق عقودها أن يسلمه اليه بمجرد بلوغه سن الرشد . وتسأل « ستللا » أباها عن هذا الخطاب ، فيرفض أن « يقدم حسابا لمفتوحة على حد وصفه للآنسة « فرو » وتعتقد « ستللا » أن ثمة سببا وراء اخفاء هذا الخطاب عنها . وهنا تصرخ فى وجه أبيها مطالبة اياه بالحقيقة .

ـ « انى مصرة على أن تخبرنى بالحقيقة : ماذا حدث ؟ لماذا لم نرها ثانية على الاطلاق ؟ » (الفصل الاول ـ المنظر ١٦) وتتهم أخاها « آرنو » بأنه متواطىء معهم ، وبأنه جبان بل تندفع فى اتهام أبيها قائلة ، « هناك أناس يُسْجَنون دون سبب ، لأنهم يحبون غيرهم .. »

ولا يجد « أميديه » مفرا من الاعتراف بأن أمها حاولت دس السم له ، وحينئذ ألقى نفسه مرغما على احتجازها فى احدى المصحات العقلية خوفا على حياته وحياتهما . (الفصل الأول ـ المنظر ١٦) .

بيد أن هذا الاعتراف لا يبدد الشك الذى ينهش قلب الابنة ، ففى حوار آخر بينهما وبين « ايفيلين » زوجة أبيها ، تؤكد لها « ايفيلين » أن أمها لم تكن مريضة ، فتسألها ستللا :

ستللا : كانت مجرمة اذن ؟

ايفيلين : ولا هذا .

ستللا : لقد أرادت قتله .

ايفيلين : لقد أرادت أن تعيش .. بكل بساطة .. (الفصل الثانى ــ المنظر ٨) .

ومن هذا الحوار نلمح ان « ايفيلين » تعتقد ان الام قد ذهبت ضحية «أميدية» لانها أرادت أن تعيش .

والواقع أن « ايفيلين » التى التقت بأميدية فى فترة عصيبة من حياته كان محتاجا فيها الى من يفهمه ــ لم تلبث أن تنكرت له ، وانحازت الى جانب ضحيته (الزوجة المتوفاة) ، وأعلنتها حربا شعواء عليه ، فهى تتصل بـ « ماجى لامبرسار » ابنة الد اعدائه الذى حطم حياته وأرغمه على التخلى عن ادارة « مجلة الاداب » فى نفس الوقت الذى تظاهر فيه برفض استقالته . كما أنها تدفع الابنة ستللا ــ كما رأينا ــ الى الشك فى أبيها . غير ان هذه المحاولة لا تسفر الا عن نتيجة عكسية ، اذ تنتهى ستللا الى الاعتقاد بأن أباها هو ضحية سوء فهم « ايفيلين » له .

وشخصية « ايفيلين » شخصية معقدة ، ويمكن اعتبارها ــ بمعنى من المعانى ــ الشخصية الـ antagonist فى المسرحية ، فبالأخطاء التى تقع فيها ، وبضروب المقاومة والعناد التى تبديها ، تكشف لنا عن الموقف الصحيح الذى يهدف اليه الكاتب ، « وبضدها تتميز الاشياء » كما يقولون . فهى تسعى الى السعادة والى اسعاد غيرها ، ولكنها تسلك الطريق الخاطىء ، وهى تتخذ لها شعارات ، ولكنها لا تعمل بها ، وهى تتهم « أميدية » بأنه لا يضع نفسه فى موضع الآخرين ، على حين أنها هى التى تفعل ذلك ، فهى تريد مثلا اسعاد « ستللا » ، ولكن على طريقتها الخاصة التى لا ترضاها « ستللا » ، وهى تقتحم نفسها فى شئون غيرها وكأنها مسئولة عن الجميع ، ولكنها لا تفعل فى الواقع الا اسقاط نفسها على الآخرين . وربما كان ارتيابها فى « أميدية » راجع الى اعتقادها بأن اباها قد قتل أمها بحرمانها من الحنان والرعاية كما تقتل

الزهور حين نمنع عنها الماء . وحقدها على احدى صديقات « اميدية » وهي « مدام دي بويجرلان » ـ يدفعها الى اسقاط هذا الحقد على ابن تلك السيدة وهو « آلان »، فتعارض رغبته في الزواج من « ستللا معارضة شديدة ، على الرغم من أن « أميدية » يرآه شابا مناسبا لابنته ، بل ربما كانت هذه المعارضة كيدا جديدا لأميدية حين شعرت بأنه يحب ذلك الفتى « آلان » . وأساس سوء التفاهم بين « ايفيلين » و « أميديه » هو أنها لم تحبه منذ البداية ، بل رضيت به زوجا لأنها كانت في حالة من الضياع حين التقت به وبأسرته ، فاحست كأن « ستللا » و « آرنو » قد تبنياها . ولكنها لا تلبث أن تضيق بحياة العزلة والتأمل التي تحياها تلك الأسرة ، وتشعر أن الجو فيها ثقيل الوطأة . وحين يتهمها « أميدية » بانها تتصف بالصرامة والعناد ، وبنوع من العتمة الباطنة ، تسأله متهكمة : أين كانت شفافيته العجيبة في البصيرة حين عقد على زوجته الأولى ؟

ايفيلين : آه ! هنا تخونك ذاكرتك ، يا اميدية . ففي الايام الأولى من زواجنا .. (تضحك) استطيع أن أؤكد لك أنك لم تدع مناسبة لاصطحابي وراءك داخل تلك المملكة الخاصة .. بل كنت تغريني بتوجيه الأسئلة اليك ـ ولم تتخذ هذا الموقف الجديد الا لأنني لم أرحب بأسرارك كما كنت تتمنى تماما .. اجل ، لأنك شعرت بأنني أقل استعدادا للعطف عليك ، من العطف على .. ضحيتك ، أجل ، وأنا مصرة على ما أقول ... ضحيتك ... » (الفصل الثاني ، المنظر الثاني) .

وشخصية « أميدية » لا تقل عن ذلك تعقيدا . فهو يبدو لاول وهلة شخصا متحذلقا ، يعشق العبارات الطنانة ، والألفاظ الضخمة المتقعرة ، ويميل الى نقد كل شيء والسخط على كل شيء ، ولكننا لا نلبث أن تكتشف تحت هذا المظهر الذي يتسم بالغرور نفسا شديدة الشقاء والتعاسة والوحدة .. ففي حوار بين « ايفيلين » وابنه « آرنو » يدفع الابن عن الأب تهمة انشغاله بنفسه فيقول :

آرنـو : مشـــغول بنفسه . الم يخطر ببالك قط أن هذه سمة شخص هش جدا ، أعزل جدا ، لهم جدا أيضا ، وأشد ما يكون تعاسة .؟

ايفلين : لا أعتقد أن والدك قادر على الالم ـ على ما أسميه أنا بالألم .

آرنـو : ما تسمينه أنت .. لابد لك من آلام مدموغة ، يا ايفيلين .. ثمة آلام اخرى،

كما توجد أمراض لم يُعْرف لها اسم بعد ، ولكنها ليست اقل فظاعة . اما انا فأعتقد أن ابى رجل شقى الى أبعد حد ، وان شقاءه ليزداد بقدر ما تقل معرفته به . وذلك النوع من الظمأ المُبْهم الذى يلتهمه ، هو نفسه لا يعرف عنه شيئا ــ والسبب هو أنه التهمه فلم يُبْقِ منه شيئا . (الفصل الثالث ــ المنظر ٩)

وفى هذا المنظر نفسه يقول « آرنو » :

آرنـو : اتعتقدين اننى لا أرى نفسى مذنبا حياله ؟ انه بالنسبة لى أشبه بجزيرة لم أجد بعد وسيلة للوصول اليها . وانى لأصلّى كل يوم لبلوغها ... ثم اننى ــ يا ايفيلين ــ مهما بدا ذلك غريبا جدا ــ لم أدرك شقاءه الا فى هذه اللحظة ، وبعد احتكاكى بك .. والشىء الغريب جدا ، هو انك لمحت شقاء ستللا ، ولكنك لم تكتشفى شقاءه هو ، مع أنهما متشابهان.. ولا ينفصلان. (الفصل الثالث ــ المنظر ٩) .

اما ذلك الظمأ الذى يلتهم نفس « أميدية »، فلعله « توافق الانسان مع نفسه .. أو « نوع من الحالة الموسيقية تكون فيها الروح » على حد تعبيره (الفصل الثانى ، المنظر الأول) . أو لعله حب الانسان لمصيره amor fati كما يقول فى مشهد آخر ، أو ضرب من الثقة المطلقة يتطلبها من الاخرين . ومن هنا كانت ثورته على ايفيلين حين تشككت فيه : « ... وكأن ما أقوله موضع ارتياب ، وكأنك تشعرين بالحاجة الى التحقق من صدقه ، ومراجعته على أقوال الغير .» (الفصل الاول ، المنظر الرابع) .

ومن سلوكه فى المسرحية نرى أنه يأخذ الامور مأخذا مأساويا ، وللمبالغة فيه أوفى نصيب ، فهو « يمسرح » اتفه الأحداث ، « ولا يرى حيثما ولى وجهه سوى اهانات شخصية ، وهو « أكثر أهل الارض حساسية » (هذه العبارات جاءت على لسان ماجى لمبرسار (الفصل الاول ــ المنظر ٨) وهو يقول عن نفسه : «ثمة ضرب من الافراط ــ سواء أكان معقولا أو لم يكن ، يحوز دائما على اعجابى » (الفصل الأول ــ المنظر ١٣) .

و « أميدية » لا يعترف بالسعادة ولا بالمتعة . فالسعادة عنده كلمة من تلك الكلمات الكبيرة الجوفاء التى لا تحمل معنى . أما « المتعة » فلا تحتل مكانا أيا كان نوعه فى وجوده الخراب .

وخلاصة القول اننا نشعر بأن « اميديه » شخص وحيد جدا .. وانه جدير بالعطف حقا لأنه يعيش بالقلب ، وبالقلب وحده ، ولا يقبل أنصاف الحلول .

وعلى عكسه تماما نرى أمه « مدام شارتران » التى لا تسعى الا الى الاستمتاع بحياتها على قدر الامكان ، وهى لا تحيا بالقلب ، وانما بالعقل ، حتى الاحسان تحب أن يتم على مسافة ، وبذهن مستريح ، وتعتقد أن المرء لو ترك لخياله العنان ، فهو هالك لا محالة . وهى سيدة متحررة مستنيرة تقرأ « فولتير » و « رينان » ، وبها اصرار شديد على مواصلة الحياة دون الانسياق وراء العواطف أو الخضوع لها . وفى حوار بينها وبين أميدية تقول :

مدام شارتران : هذا أمر غاية فى البساطة .. أعنى القدرة على الاستمتاع . فأنا شخصيا لا استيقظ من نومى دون أن أقول لنفسى أولا : يا صغيرتى اميلى، ماذا تستطيعين أن تفعلى اليوم لامتاع نفسك ؟ ودائما أجد ما يجلب السرور الى نفسى . وفى اليوم الذى لا أجد فيه بغيتى ، لا يبقى أمامى الا اللحاق بأجدادى بأسرع السبل.. هيه، هيه ...

اميديـــه : ولكن ، الا تعتقدين مع ذلك أن التفكير فى الآخرين ... ؟

مدام شارتران : خطير . فنحن لا نستطيع بكل تأكيد أن نمتنع عن التفكير فى الآخرين. ولكن ينبغى ألا نسعى الى اسعادهم على الرغم منهم ، كما لا ينبغى — على الأخص — أن نضع انفسنا فى مكانهم ، فليس هذا ممكنا ولا طبيعيا . اننى أؤمن — فى الحياة — بالمقاعد ذات الأرقام . اليـك ايفيلين مثلا — انها لم تفهم بعد هذا ، وذلك ما يجعلها غير محتملـة فاذا عرفنا — بالاضافة الى ذلك ، أنها كانت تريد أن تكون مشرفة اجتماعية .. أدركنا أنه حب التدخل ، ولا شىء سواه . » (الفصل الثانى ، المنظر ٤)

أما « آرنو » الابن ، فهو روح الايمان التى ترفرف على هذه المسرحية ، انه يتخذ فى كل تصرفاته موقف انكار الذات ، ولا يلتهمه ذلك الشعور بالقلق والفضول الذى يلتهم أخته « ستلا » . انه يتمتع بحالة نادرة من صفاء النفس ، والتعاطف مـع الآخرين . فهو باختصار لا يمكن تصوره بدون ايمانه ، ومع ذلك ، فانه لا يتحدث أبدا عن ايمانه ، انه أشبه بشخص يحمل شيئا رائعا لا يراه احد سواه ، وليس

من المسموح للآخرين الا أن يلمحوا انعكاس هذا الشيء في عينيه . وتتهمه « ستللا » بأنه معتصم بنفسه دائما وبأنه منعزل عن الحياة ، وعندها أن يحيا المرء الحياة أشد عسرا من تلك العزلة التي يضربها أخوها حول نفسه .

ونقاء سريرة « آرنو » ، ونفاذ بصيرته ، وشفافيته ـ أو « أنواره » على حد تعبير « ايفيلين » ـ هي التي تجعلنا ننفذ الى أعماق الشخصيات الأخرى ، كما أن هذه الأنوار نفسها هي التي تهدي « ايفيلين » الى الصواب بعد أن تزعزع يقينها واهتزت توكيداتها التي لا أول لها ولا آخر .. ويكاد في المشهد الاخير من المسرحية أن يضع يدنا على السر في وفاة والدته حين يقول :

آرنـو : طالما تساءلت : ألا يمكن أن يكون أبي هو الذي أوحى اليها ـ في الواقع ـ بهذه الفكرة ؟

ايفيلين : ماذا تعني ؟

آرنـو : لأنه كان يتوقع ببساطة أن تقوم بها ، لأنه كان في حاجة اليها .. أتفهمين ؟ وكأنما كان لابد من وقوع حادث ليبرر في نظره الشفقة التي يشعر بها نحو نفسه .. وربما كان أولئك الذين نسميهم مجرمين ، ليسوا في بعض الأحيان سوى .. مفتونين . ولكن هذه الجريمة المستعارة التي لم تستطع التعرف فيها على نفسها .. اعتقد انها قد عزلتها عن نفسها .. وهكذا اضطرب عقلها .. وضاعت حقا . (الفصل الثالث ، المنظر ٩)

وتسرع الأحداث في المسرحية بمحاولة الانتحار التي أقدم عليها « آلان » بعد ان بعث الى ستللا بخطاب يطلبها فيه للزواج . ولكنه لم يتمهل حتى يتسلم الرد ، مع ان ستللا كانت قد قررت قبول طلبه ذاك حين أحست أنه يحبها حقا ، وانها في حاجة الى هذا الحب . وتشاء المصادفة أن ينقذه « أميديه » من هذه المحاولة في اللحظة الأخيرة .

ولعل أروع لحظتين في هذه المسرحية ، هما اللحظتان اللتان تثوب فيهما كل من « ايفيلين » و « ستللا » الى الحب : الأولى الى حب زوجها الذي لم تنصفه ولم تفهمه ، والثانية الى حب « آلان » . تقول ايفيلين لآرنو :

ايفيلين : اجل ، ربما اخطأت على سبيل الكبرياء .. انظر ، انني أوافق على ذلك ،

ولا اتشدد . ان الطريق الذى سلكته حتى الآن لم يؤد بى الى أي مكان . احب أن أغير طريقى . وما دمت تتمتع بأنوار حرمت على ، فلماذا لا تقبل ارشادى ؟ سأكون طيعة .. متواضعة ، أؤكد لك . وربما تعلمت أن أكون اكثر انصافا له (تقصد اميدية) – ما دمت تعتقد أننى غدرت به .. وانى لعلى يقين فى هذه اللحظة من أنك على صواب .. » (الفصل الثالث – المنظر ٩)

وهنا يعلن لها آرنو انه سيدخل فى سلك الرهبان خلال بضعة أسابيع .

اما ستلا فتقول لآرنو أيضا :

ستللا : لست أدرى ، كل شيء قد اختلط .. اختلاطا مستعصيا فى داخلنا نحن ، وفى خارجنا . انى لاتمثل « الآن » راقدا على تلك الصخرة ، خائر القوى ، يائسا .. وأراه غدا سعيدا .. بل يكاد أن يكون مجنونا .. ولا أريد من بعد ، أن اتذكر كم ضايقنى فى كثير من الأحيان ، وأثارنى .. انى أمحو هذا كله .. فاهم ... »

وتنتهى المسرحية نهاية سعيدة يعلنها أميدية بقوله :

اميديه : يا طفلى المسكينين هنـاك لى لحظات موفقة ، يتألف فيها نظام لا تلتقطه غير الأذن المرهفة ، البالغة الدقة .. (الفصل الأخير ، المنظر الأخير)

ولا يسع المرء بالنسبة لهذه المسرحية الا أن يتعاطف مع شخصياتها جميعا على الرغم من مواطن الضعف فى كل شخصية ، لأنها فى حقيقة الأمر شخصيات انسانية من لحم ودم ، ومن الممكن أن يقع المرء فيما تقع فيه من أخطاء وعثرات ، وأن يتعرض لتلك المشكلات الحارقة ، والمحن الرهيبة التى تعرضت لها .

شخصيات المسرحية

اميدية شارتران	(٥٠ سنة)	Amédée Chartrain
آرنو شارتران	(٢٤ سنة)	Arnaud Chartrain
آلان دى بويجرلان	(٢٣ سنة)	Alain de Puygeurland
ايفيلين شارتران	(٢٤ سنة)	Eveline Chartrain
ستللا شارتران	(٢٠ سنة)	Stella Chartrain
مدام شارتران	(٧٢ سنة)	Madame Chartrain
مدام دى بويجرلان	(٤٨ سنة)	Madame De Puygeurland
الآنسة فرو	(٦٠ سنة)	Mademoiselle Freux
ماجي لامبرسار	(٣٢ سنة)	Maggie Lambersart

تمهيـد

ظهرت هذه المسرحية سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « الظمأ » في مجموعة Les Iles عند الناشر « دسليه دي برووئيه » .

وتحاشيا لاى خلط مع مسرحيـة « هنرى برنشتين » التى ظهرت قبل مسرحيتى بعشر سنوات ، والتى تحمل نفس العنوان ، وبناء على طلب مسيوليچين Lejeune مدير « مسرح المنتزه » فى بروكسل الذى كان مكلّفا بتفيذ المسرحية فى أكتوبر ١٩٥٢ ، وافقت على أن استبدل بالعنوان الأصلي عنوان « القلوب النهمة » .

وتحت عنوان « الظمأ » ، عرِضت هذه المسرحية على الجمهور لأول مرةتحت اشراف « نادى البروفانس » فوق مسرح « الچمناز » بمارسيليا فى ٦ مارس ١٩٤٩ .

جبرييل مارسل

الفصل الأول

تدور حوادث المسرحية عـــام ١٩٣٧

غرفة فسيحة الجنبات في منزل ريفى ، على بعد مائة كيلو مـــن باريس .

المنظر الاول

مدام شارتران وستللا

مدام شارتران : (بانفعال) — عيناى ! عيناى !

ســـتللا : (تناولها نظارتها في هدوء) ، هاهى ذى ياجدتى .

مدام شارتران : شكرا ، يا بنيتى . (وكانت قد وضعت على المنضدة مفكرة من القماش المشمع ، وقلماً من الرصاص .) ها أنذا مصغية إليك .

ســـتللا : (تقرأ) — « مدام ف ... ، التى مازالت أرملة تعول ثلاثة أطفال ، أكبرهم في السادسة من عمره ... »

مدام شارتران : رقمهـــا ؟

ســـتللا : خمسمائة وثمانية وسبعون .

مدام شارتران : أعيدى علىّ هذه الفقرة .

ســـتللا : مدام ف . . . التى مازالت أرملة تعول ثلاثـــة أطفال ، أكبرهم في السادسة من عمره — تعانى في الوقت الحاضر أشد ضروب الحرمان . ولاحق لها في إعانة البطالة ، ولما كان زوجها قد أدمن الشراب . . . »

مدام شارتران : قلنا انها أرملة ! . . . هذه ركاكة في التحرير .

ســـتلا : فانه لم يتفاد في الوقت المناسب ، سيارة أقبلت عليه . . . »

مدام شارتران : فهمت . . عائلة من مدمنى الخمر لاأرى فيها أمـــلا كبيراً . . عشرون مـــن الفرنكات . (تكتب في مفكرتها) .

ســـتللا : ولكن ، ياجدتى . . .

مدام شارتران : إلى ما بعدها .

ســـتللا : (تستأنف القراءة) — « الآنسة ى . . »

مدام شارتران : وهذه رقمها خمسمائة وتسع وسبعون

ستللا : « . . . صماء بكماء منذ مولدها ، وعلى وشك أن تفقد بصرها . »

مدام شارتران : هذه حالة طريفة . تمهلى في قراءتها يا ستللا .

ستللا : » وقد عاشت حتى الوقت الحاضر بفضل معونة مادية تسديها إليها إحدى قريباتها البعيدات ، غير أن نكبة مالية نزلت بهذه السيدة ، حالت اليوم دون استمرارها طويلا في تلبية احتياجات تلك الفتاة . . التى أصيبت فضلا عن ذلك بروماتزم المفاصل . . . »

مدام شارتران : حالة ميؤس منها . . لاسبيل إلى تداركها . . وخير مانسديه إليها أن نقدم لها قليلا من السيانور .

ستلا : جدتى !

مدام شارتران : إن مفعوله فورى . صدقينى ، إنه الحل الذى سوف نصل إليه يوما ما . . فما برحت هناك معتقدات زائفة ينبغى القضاء عليها .

ستللا : لا أعتقد أن مثل هذه الأمور من قبيل المعتقدات الزائفة .

مدام شارتران : انك لا تتمتعين بأى حس اجتماعى ، يا صديقتى

الصغيرة ، وليست هذه أول مرة ألاحظ فيها
ذلك . ومهما يكن من أمر ، فأنتم — هاهنا —
رجعيون جميعا . . هيا . . إلى الحالة التالية . . .

ستلا : (تواصل القراءة) « مسيون . . . اسرائيلي ،
من اللاجئين الألمان . . . »

مدام شارتران : لقد منحت جمعيتهم خمسين من الفرنكات .
في هذا اذن ازدواج .

ستلا : مدام س . . الى مازالت أرملة ترعى ثلاثة
اطفال . . . »

مدام شارتران : مرة أخرى !

ستلا : إنها ليست نفس الأرملة السابقة . » . . . ستجد
نفسها مرغمة على الانفصال عنهم ، إن لم تسارع
إلى عونها . »

مدام شارتران : هذا الكلام غاية في الغموض .
(يفتح أميدية الباب القائم عند مؤخرة المسرح ،
ويبقى بلا حراك (

ستلا : (تواصل القراءة) » وهم يعيشون الآن في
غرفة غير صحية ، تطل على فناء صغير ، وينام
الأطفال الثلاثة على فراش واحد . » (يسعل

امدية سعلة خفيفة ، فتلتفت إليه ستالا) ماذا هناك يا أبي ؟

أميـــديه : (بعد هنيهة) لا أميل إلى زهرات الشقاء .[1] (يخرج)

مدام شارتران : ماذا قال أبوك ؟ لم أحسن الاستماع .

ســـتللا : (في شيء من الحرج) كلمة حول هذه النشرة .. جدتي ، أأنت واثقة أن ما نفعله ، يفيد في شيء ؟

مدام شارتران : كيف ؟

ســـتللا : هذا التدقيق في الفحص .. لا أدرى .. حين أتمثل كل هؤلاء التعساء ... أشعر .. بالخجل

مدام شارتران : (في قسوة) اوترك المرء لخياله العنان فإنه يتوه .. فلا ينبغي أن يتم الاحسان إلا عن بعد ، وبذهن مستريح .

ســـتللا : أجل ولكن ... ربما لايصبح هذا احسانا .

مدام شارتران : يبدو عليك الارهاق ، ياصديقتي الصغيرة ، ولست على مألوف عادتك في أيام الأربعـــاء الماضية .. أهناك شيء لايسير على ما يرام ؟

(1) Les Heeri legis de maiheur

أنت تعلمين ياستللا ، أنني لاأحب الأسرار .

ســتللا : أؤكد لك يا جدتي ، أنه لاشيء هناك على الاطلاق

مدام شارتران : في هذه الحالة فلنستمر .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ــ ايفيلين

(تقلب إيفلين أشياء مختلفة ، ومن الواضح أنها تبحث عن شيء فقدته)

إيفيــلين : أرجو المعذرة ياأماه . . لاداعي للانزعاج .

مدام شارتران : (مستاءة) كيف تريدين ياإيفيلين أن نقوم بعمل بعمل جاد على حين نقاطع في كل لحظة ؟

إيفيــلين : (تتجه بالحديث إلى ستللا) ألم تقع عيناك ــ ياعزيزتي ــ مصادفة ــ على شغلي ؟ فلست أدرى أين وضعته .

ســتللا : لعلك تركته في الحديقة مساء أمس .

زيفيــلين : أتعتقدين ذلك ؟ (تلمح احتداد مدام شارتران ، فتطلق ضحكة صغيرة) هذه حماقة .

مدام شارتران : بل إن أقل مافيه هو أنه يثير الغضب . . ويبدو

أن الوقت لاقية له عندك ، وهذا شيء غريب ، يـــا ايفيلين بالامس حسبت الوقت فوجـــدت أنك أنفقت ثمانى عشرة دقيقة في البحث عـــن منديلك ، وقفازك . .

إيفيـــلين : جائزه .

ســـتللا : أرجو أن تأذنى لى بالانصراف ، ياجدتى . . .

مدام شارتران : (حانقة) لماذا ؟

ســـتللا : الواقع . . . أنك لست في حاجة إلىّ .

مدام شارتران : (في تهكم مرير) لامفر من أن افقأ عينى في هذا النص المطبوع بحروف باهتة جدا ،ودقيقة جدا . . وأنت مع ذلك تعلمين مانصحنى به ـ طبيب العيون . ولكن ، الأمر يستوى لديك . . هل استطيع الاعتماد عليك ـ على الأقل ، في إلقاء الحوالات في صندوق البريد ؟

إيفيـــلين : تستطيع روز أن تقوم بهذه المهمة ياأماه .

مدام شارتران : أنت لاتشغلين فكرك بهذه المسألة يا إيفلين . إن حسناتى ليست من اختصاص الخدم .

(تخرج غاضبة)

المنظر الثالث

ستللا ـ ايفيلين

ستللا : مسكينة جدتى !

ايفيلين : أجل ، يبدولى أن حالتها زداد سوءا هذه الأيام .

ستللا : أراك تتحدثين عنها كما تتحدثين عن مرض من الأمراض .

إيفيلين : ومع كل هذا ، تتمتع بحيوية خارقة .

ستللا : هذا صحيح .

إيفيلين : حيوية بعض الأشخاص المُحنطين تماما في مواقف أخرى .

ستللا : المحنطين ؟

إيفيلين : صدقيني يا ستللا ، إن تَحَجّر القلب يصون الحيوية على نحو عجيب . أبى ـ مثلا ـ كان يمكن أن يُعَمر مائة عام ، لولا تلك الحادثة المشئومة .

ستللا : أكان مولعا بالحياة

إيفيلين : هذا أمر صعب الحكم عليه . إن حب الحياة ،

ضرب من السخاء ، لا يوهب لكل الناس . .
وقد كان يتمسك بالحياة تمسكه بكتبه ، وأوراقه .
فلندع الحديث عنه ياقطتي الصغيرة . . هذا
أفضل . .

ستللا : وأمك ؟ قلما تتحدثين عنها .

إيفيلين : أمي . . لقد كانت شيئا مختلفا . بددت حياتها
أولا في سبيل أمها التي كانت مخلوقة جهنمية ،
ثم في سبيل زوجها من بعد . . . لقد قتلها .

ستللا : أوه !

إيفيلين : قتلها على مهل : وفي كامل وعيه .

ستللا : ماذا تعنين بكلمة قتلها ؟

إيفيلين : كما تقتل الزهور في الآنية . . إذ تعمدنا — بكل
عناية — ألا نعطيها ما تحتاجه من ماء . . .

ستللا : يا للبشاعة ! . . . ولم يساوره . . . الندم قط ؟

إيفيلين : أي أنه أعتبر موتها إهانة شخصية .

ستللا : (بعد هنيهة) كثيرا ماتساءلت عما كان سيحدث
لو لم تحضري إلى « سيلفا بلانا » في تلك السنة
التي كنا نحن هناك . . .

إيفيلين : لو لم ألتق بكم – اى ستللا – لرحلت . فقد عقدت عزمى على الرحيل ، إذ علمت أن في إمكاني السفر إلى فيينا في مقابل أداء عمل ما . وكنت أستطيع اعطاء دروس في اللغة الفرنسية . . حتى لا أكون عالة على أحد .

ستللا : وهل تتركين والدك دون تردد ؟

إيفيلين : دون أدنى تردد يا عزيزتى . .

ستللا : ودون أن تنحى على نفسك باللائمة فيما بعد ؟

إيفيلين : أيتها الحالمة الصغيرة ! دون لوم على الاطلاق .

ستللا : نحن غير متشابهتين .

إيفيلين : لحسن الحظ ، يا حبيبتى .

ستللا : بالنسبة لمن ؟

إيفيلين : ربما كان من حسن حظك أنت ، ولكنه بكل تأكيد ، من حسن حظ الآخرين .

ستللا : (متابعة تفكيرها) ونحن ، لو لم نلتق بك ، نحن الثلاثة . . تصورى الأسابيع العصيبة التى كان

أتى يجتازها في تلك اللحظة . . . لولاك ! . . . كان في أشد الحاجة إلى من يفهمه. كنا نقتله أحيانا على غير وعي منا ــ بكلمة نقولها ــ أو لا نقولها .

إيفيـــلين : (في عذوبة) صدقيني ، انه لاداعي للقلق .

ســـتللا : انك تعرفين دائما كيف تبصرين ماهو خطير ، وما هو تافه . . مثل آرنو . .

إيفيـــلين : (في حزن) ثمة اختلاف كبير بين أخيك وبيني ، تنسينه يا حبيبتي .

ســـتللا : أعرف ذلك حق المعرفة ومن حسن حظ آرنو أن يكون على مثل تلك الثقة ، تلك . . .

إيقيـــلين : أجل . . . وان كان من الاجحاف به ان ــ نتحدث عن حظه . . فالحظ الذى يواتينا ، يمكن ألا يأتى ومن الممكن أيضا ان يتحول عنا .

ســـتللا : هذا حق ، فليس من الممكن ان نتصور آرنــو دون ايمانه ، إنه لن يكون حينئذ آرنو ، ولن يكون هناك في تلك الحالة . .

إيفيـــلين : ومع ذلك ، فهو لايتحدث عن إيمانه ابدا ، إنه أشبه بشخص يحمل شيئا رائعا لايراه أحد سواه ،

وليس من المسموح للآخرين إلا أن يلمحوا — انعكاسه في عينيه . . بيد أن هذا وحده شيء كثير .

ستللا : وحتى لو عاش المرء دائما في صحبته ، لما كان في ذلك أى عون . . . بل قد يجد في هذه الصحبة أحيانا شيئا من الضيق .

إيفيلين : ثمة شيء يشغلك — أى ستللا — ولقد أحسست به على الفور .

(فترة من الصمت)

ستللا : (في صوت مختنق) أوثر ألا أتحدث عنه ، حتى لو كان ذلك إليك أنت .

إيفيلين : لك ما تشائين ياحبيبتى .

ستللا : أنت تفهمين . . .

(تتوقف عن الكلام)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص — اميديه

أميديه : (يتحدث وعيناه نصف مغمضتين) — ما كنت أريد أن ينشأ بيننا سوء تفاهم .

(مخاطبا ستللا) من المحتمل أنك أعدت على سمع والدتى الجملة التى تفوهت بها منذ لحظة ؟

ستللا : أية جملة ياأبى ؟

أميديه : ليس من اللائق أن يستشهد المرء بنفسه ، ويحسن بك أن توفرى على ذلك العناء .

ستللا : أؤكد لك أننى لا أتذكر شيئا على الاطلاق . . .

أميديه : (بعد فترة صمت) هاقد مضى يومان نسوا فيهما افراغ سلتى للمهملات ، وكنت أفهم أنك أنت التى تتولين هذا العمل ياستللا .

ستللا : يخيل إلى أنه لاوجود لقاعدة .

أميديه : أو ليس هذا أمرا يدعو إلى الأسف ؟

ستللا : آه ! تذكرت الآن . لقد قلت إنك لا تحب « أضرار » الشقاء (١)

أميديه : (في عصبيه بالغة) — لم أقل « أضرار » ، بل قلت « أزهار » وليس معنى هذا — إطلاقا — أننى ألومك على ماتبدينه من رحمة بأولئك البؤساء الذين وقع عليهم الاختيار . . .

---

(1) Les Lrrilege du Welheum

إيفيلين : أميديه !

أميديه : ثم ماذا ؟ ربما كان من الطبيعى أن أشخاصا في ميعة الصبا ، أو — واأسفاه ! — ينحدرون إلى الشيخوخة كوالدتى . . .

إيفيلين : (إلى ستللا) ألم تتصل ماجى بالتلفون ؟

ستللا : لاأظن . ماذا كنت تقول ياأبى ؟

أميديه : (إلى إيفيلين) إن لك طريقة محيرة تقطعين بها الحديث ياإيفيلين . من تكون ماجى هذه ؟

إيفيلين : أنت تعرفها تمام المعرفة ياأميديه .

أميديه : ومع ذلك ، أعتقد أنك لاتقصدين الآنسة لامبرسار .

إيفيلين : أنا لاأعرف غير ماجى واحدة .

أميديه : وكان ينبغى . . على تلك الفتاة أن تتصل بك تلفونيا ؟

إيفيلين : أجــل .

أميديه : وكان من المتفق بينكما أن تطلبــك بالتلفون ؟

إيفيلين : ولـــمَ لا ؟

أميديه : فقد كان أمرا مرتباً ؟

إيفيـــلين	: وماذا بعد ؟
أميـــديه	: قد يحدث ان أرد على التلفون يا ايفيلين . . وعلى هذا النحو أخاطر بأن أجد نفس في حضرة . . . .
إيفيـــلين	: ولكنها في الطرف الآخر من الخط .
أميـــديه	: لاداعى للتلاعب بالألفاظ . . أجد نفسى في حضرة شخص يمت بصلة القرابة الى الرجل الذى حَطّم حياتى بوسائله الوضيعة ؟ إيفيلين ، أتدركين ما يمكن أن يسفر عنه هذا الأمر ؟
إيفلين	: تستطيع في هذه الحالة أن تناولنى السماعة .
أميـــديه	: ولكن الأدهى من ذلك – على وجه الخصوص – أن تظل علاقاتك موصولة بابنة ألد اعدائى !
إيفيـ لين	: سبق إليك قولى بأن هناك – بلاشك – قدراكبيرا من سوء التفاهم .
أميـــديه	: كلا ، يا إيفيلين ، لا وجود لسوء تفاهم ، لا وجود لأدنى سوء تفاهم .
إيفيـــلين	: على المرء أن يتعرف أيضا على رنّة الجرس الأخرى.*

* كتابة عن اقوال الطرف الآخر ، وهي بالفرنسية Lo'antre Son de Chocke

(يرفع أميديه راحته إلى وجهه وكأن أحدا يهم بصفعه)

أميــديه : وهكذا يكون عذابى ومهانتى وثورتى .. مجرد رنة جرس أخرى ... ؟ وكأن ما أقوله موضع ارتياب ، وكأنك تشعرين بالحاجة إلى التحقق من صدقة ، ومراجعته على أقوال الغير ...

إيفيــلين : ولم لا ؟ وهذاهو سبب تلهفى على الحديث مع ماجى .

أميــديه : وأين قررت الالتقاء بهذه الانسانة ؟ على أرض محايدة ، على ما أعتقد ؟

إيفيــلين : ولم لا يكون اللقــاء هنا ؟

أميــديه : آه ! كلا ، يا إيفيلين ، ليس هنا ، لن يحدث ذلك عندى ، وتحت سقف بيتى .. وإلا ، انسحبت أنا من هذا المكان ، انسحابا نهائيا لا رجعة فيه .

ســتللا : حسبك يا أبى ، لا تأخذ الأمور هذا المأخذ المأسوى . فانى على يقين تام من أن إيفيلين ستتخلى طواعية واختيارا عن هذا الموضوع في

اللحظة التى تشعر فيها أن هذه المحادثة تجشمك أى عناء .

أميـــديه : لست أدرى — ياطفلتى — لم تصرين على قولك « إيفيلين » ، وأنت تعلمين أن هذا يصدمنى ؟ لقد رجوتك أكثر من مرة أن تناديها بمامى .

ســـتللا : اسمع يا أبى ، ان هذا لا يتفق مع شعورى نحو إيفيلين ، وسيكون ذلك مصطنعا .

أميـــديه : مصطنعاً ! الأدب شىء مصطنع ، والتهذيب شىء مصطنع . .

إيفيـــلين : لاتصر على ذلك يا أميديه ، وحتى لو ارتضته ستللا ، فلن أرتضيه انا . كيف غاب عنك أن التدخل في هذه المسألة لايعنيك ؟ ثم ، انها مسألة صبيانية ، في نهاية الأمر.

أميـــديه : ثمـــة شىء من الترخص في العلاقات الشخصية لن أسمح به أبدا في بيتى . . والحق ، أن هذه المسألة على أكبر جانب من الخطورة.

ســـتللا : ولماذا يا أبتى؟

أميـــديه : لأن هذه علامة أخرى على حالة الانحلال التى يوغل فيها هذا البلد التعس يوما بعد آخر .

ستللا : أنا لا أفهم شيئا . .

أميديه : لو أنك — ياطفلتي المسكينة — بدلا من أن ترتعي في تلك المطالعات المهوشة الشائكة ، كنت قد بذلت جهدا منهجيا — وذكيا — لدراسة تاريخ تقاليدنا ومؤسساتنا . .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص — آرنو

آرنو : صباح الخير عليكم جميعا . التقيت من توى بماجي ، يا إيفيلين ، وقد كلفتني بأن اخبرك انها ستحضر بعد ساعة — من الآن — لرؤيتك .

(يتجه أميديه إلى الباب القائم في المؤخرة .)

لماذا تمضي يا أبي ؟ ؟

أميديه : أمك وأختك تعرفان رأيي في هذه الزيارة . — وأعتقد أنني قد عبرت عن نفسي منذ لحظة في عبارات واضحة بما فيه الكفاية . غير انني اضيف لعلمك الخاص — بما أنك كنت محيطا بالحوادث التي تعاقبت في هذه الشهور الأخيرة ، فقد كان من واجبك أن تفهم تلك المعتوهة ما ينطوي عليه سلوكها من مجافاة للذوق .

إيفيـــلين : المسألة ليست مسألة سلوك يا أميديه ، انت — تحلم . . وماجي صديقتي ، ولاأجد ماألومها عليه . وإذا كان يروق لك الآن أن تذهب للقيام بجولة أثناء وجودها هنا ، فاني لا أرى في ذلك — من جانبي أية مجافاة للذوق .

أميـــديه : ألف شكر على لطفك . . .

مدام شارتران : (وقد ظهرت في المؤخرة ، ومن الواضح انها جهّزت نفسها كما لو كانت تتأهب للقيام برحلة بعيدة) سأذهب إلى مكتب البريد .

أميـــديه : (إلى إيفيلين) إن نتائج موقفك يمكن أن — تكون . . بغير حدود .

إيفيـــلين : لم يكن من طبعي أبدا أن أخشى ماكان بغير حدود يا أميديه .

مدام شارتران : أكرر عليكم قولي بأني ذاهبة بنفسي إلى مكتب البريد ..

آرنـــو : لاداعي للعجلة ياجدتي ، فالبريد لايصدّر قبل هذا المساء .

مدام شارتران : إنها مسألة مبدأ ؟

أميـــديه : ماما ، انتظرى لحظة من فضلك ، وسأصحبك.

(يخرجان)

المنظر السادس

ايفيلين ـ آرنو ـ ستللا

إيفيـــلين : (في مـــرح) ينبغى ألا نكتم شيئا يـــا أولاد فلنفض بكل شيء .

آرنـــو : ماذا حدث إذن ؟

إيفيـــلين : (تنظر في الاتجاه الذى خرجا منه) ما اشـــد تشابههما ، هذين الاثنين !

ســـتللا : (مرتاعة) أتعتقدين ذلك ؟

إيفيـــلين : إلى أقصى حد .

ســـتللا : ماكنت أعتقد هذا قط . فابى مرهف الحس .

إيفيـــلين : (في هدوء) أما أنا ، فأعتقد ان بينهما على الاخص . . اختلافا . فلنقل . . في الايقاع .

آرنـــو : (ضاحكا) إلام تقصدين ؟

ســـتللا : (إلى إيفيلين) تقولين ـ وأنت تضحكين ـ أشياء رهيبة .

إيفيـــلين : هل ابدو مرعبة ياعزيزتى ؟ ان معرفتك بى الآن تكفى لكى لايراودك الشك في انى لاأستطيع الامتناع بين حين وآخر عن النظر إلى أقرب — الناس إلىّ ، وكأنهم غرباء ، عابرو سبيل

ســتللا : ونحن ، آرنو وأنا ، أمن الممكن ان .. ؟

إيفيـــلين : بكل تأكيد : مجرد عابرى سبيل يشعر نحوها المرء شعورا لاسبيل إلى مقاومته بأن يصيح قائلا: « كم أعجب بكما أنتما الاثنين ! » ففــى طفولتى ياستيللا ، بل منذ ذلك الحين ، عرفت مثل هذه الاغراءات ، دون أن املك إلــى مقاومتها وســيلة .

ســتللا : حتّى مع الرجال ؟

آرنــو : بالطبع ، ولم لا ؟ إننى مثلك يا ايفيلين ، كل ما في الأمر انى لا ابحث مطلقا عن وسيلةللمقاومة

ســتللا : الامر ايسر بالنسبة للولد . . .

آرنــو : بالنسبة للناس جميعا : مع الشيوخ ، والشبان ، والأطفال ، ولهذا السبب أعشق السفر بالقطار

إيفيــلين : وعند هذا ، سأترككما ، يا أولادى ، إذ

ينبغى أن اهتم بقائمة الطعام ، فقد أزف الوقت وإذا حضرت ماجى ، فابعثا بها إلى في حجرتى.

(تخرج)

المنظر السابع

آرنو ـ ستللا

ستللا : (في عصبية) عندى أشياء كثيرة أود أن أقولها لك ، وان أطلبها منك ، ولكنك غائب دائما وابدا . ومع ذلك فقد استيقظت هذا الصباح في ساعة مبكرة . . وأنا ، حين تذهب أنت إلى الكنيسة ، لايساعدنى ذلك في شيء .

آرنو : (في رفق) ربما ساعدك ذلك أكثر قليلا مما تعتقدين .

ستللا : أعرف ماترمى إليه ، ولكن ، اذا لم أشعر أنا به ، أنت فاهم . . .

آرنو : أعتقد أنه لاينبغى أن نطالب الكثير من الشعور ، فهذا لاجدوى منه .

ستللا : لقد اصبح الجو ها هنا ثقيل الوطأة ، ولايبدو

عليك أنك لاحظت ذلك ، وان كنت قد سمعت ما قالته إيفيلين منذ لحظة . فاذا كانت قد بلغت هذا الموضع بعد ثمانية عشر شهرا من الزواج . .

آرنــو : لاأريد مناقشة مشاعر إيفيلين ، فانها لاتخصنا . وفضلا عن ذلك ، من المحتمل ألا نستطيع — فهمها على الاطلاق .

ســتللا : أنت تعتصم دائما بنفسك ، وهذا شيء مريح .. . أما أن يحيا المرء ، فهذا ماأجده غاية في العسر . أترانى أثير شفقتك ؟

آرنــو : كلا ، وانما أتألم من أجلك .

ســتللا : أوثر أن تهزنى هزا . .

آرنــو : ولكنك في تلك الحالات ، تتهميننى بأننى أعنفك

(صمت)

ســتللا : (خافضة من صوتها) ستأتى الآنسة فرو لرؤيتى حالا .

آرنــو : ومن تكون ؟

ستللا : آرنو !

آرنو : آه ، آسف ، لقد نسيت اسمها .

ستللا : ولكن ، أين ذهب عقلك ؟

آرنو : هل كتبت إليك ؟

ستللا : بعثت إلى بكلمة تسلمتها مساء أمس .

(تناوله رسالة)

آرنو : (بعد أن قرأ مافيها) ياله من خط عجيب ، وكأنه مزيف .

ستللا : انها هى نفسها مزيّفة ، وأنت تعلم ذلك جيدا .

آرنو : يؤسفنى أنك سترينها مرة أخرى .

ستللا : إنها ترغب في محادثتى . . . وكان من الجبن ألا ألبى رغبتها .

آرنو : ليس بالتأكيد .

ستللا : لماذا ؟

آرنو : هل تبادر إلى ذهنك أنها سوف تحدثك عن أمنا ؟

ستللا : إنى من ذلك على يقين .

آرنو : طيب ، وبعد . . .

ستللا : (في حماس (لا أستطيع أن أفهمك . لقد تعذبنا كثيرا ونحن نسعى إلى التكهن بما حدث في الماضى . . .

آرنو : لم أتعذب .

ستللا : إذن ، فقد كنت تتظاهر . . . ذلك المرض غير المفهوم الذى لم يشأ أحد قط ان يعطينا عنه أية تفصيلات . . وموتها — ياارنو — موتها الذى لم نحط به علما الا بعد انقضاء ثلاثة اسابيع . . . وانت ايضا قد تسلطت عليك هذه الوساوس كلها .

آرنو : كنت اسير في اعقابك ، ان الأمر اشبه بتلك النزهات التى ماكنت اقوم بها بدونك ، على مقربة من «هاشيكوز» أو عند المنزل الأحمر.

ستللا : آرنو !، وماوجة الشبه ؟ . . .

آرنو : أعتقد أنني لست فضوليا .

ستللا : ان الأمر يتعلق بأمنا يا آرنو — لا بانسانةغريبة .

آرنو : انه — على كل حال — ضرب من . . . الفضول

ستللا : ليس بالنسبة إلى . . انه نوع من القلق . . من

تأنيب الضمير . فلا أستطيع أن أفكر في أمي كما ينبغي أن يكون التفكير ، ما دمت لا أعرف كيف كانت حياتها .

آرنـــو : ولماذا لا تستطيعين ؟

ســـتللا : لأنني لا أعرف الصـــلاة .

آرنـــو : عفوا يا ستللا (يخاطبها في رفق) كل مـــا في الأمـــر — انني ربمـــا لم أكن بالبساطـــة التي تتصورينها تماما ، وأؤكد لك . . .

ســـتللا بلى ، يا آرنو ، إنك أشد الناس بساطة . وحتى لو أردت ، فإنك لا تعرف كيف تكذب ، بل تتخبط على الفور كطفل غرير .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص — ماجي

ماجى : صباح الخير ياآنسة . (ثم لآرنو) هل بلّغـــت رسالتي إلى إيفيـــلين ؟

آرنـــو : أجل ، أجل ، وهي تنتظرك .

ســـتلا : فلنغتنم فرصة خروج أبي ، فقد يعود بين لحظة وأخرى .

ماجى : أظن أنه لن يلتهمنى إذا التقينا .

ستللا : لا أخفى عليك أنه كان حاقدا أشد الحقد . . .

ماجى : كيف ؟

ستللا : لا أستطيع أن أقطع برأى في هذا الموضوع ، ولكنه مقتنع بأنه كان ضحية مؤامرة .

آرنو : حسبك يا ستللا .

ستللا : أنت تعلم حق العلم أنى لا أبالغ .

إيفيلين : (قادمة) حسبت انى أسمع صوتك ، كيف حالك ؟ متى وصلت إلى أورشان ؟

ماجى : منذ مساء أول أمس . ولكن خبريني يا إيفيلين ، يبدو أن زوجك يتوهم أشياء عجيبة ؟

إيفيلين : سأشرح لك كل شيء ، ولكن ينبغى ألا تأخذى الأشياء مأخذ المأساة .

ماجى : (مشتعلة الاحساس) لأننى ، عندما يتعلق الأمر بأبى ، انت تفهمين . . .

إيفيلين : طبعا ، يا ماجى .

ماجى : أبى كائن لا نظير له . فمن حيث الاستقامة ، ومن حيث الولاء . . . هو شيء رائع . . بل لست

أدرى . . انه شيء سابق على التاريخ .. وباختصار ما الذى يأخذه عليه مسيو شارتران ؟

آرنــو : أظن أن والدى يرى ، سواء أكان مخطئاأم مصيبا

ستــلا : اسمع ، يا آرنــو . . .

آرنــو : إنهم قد أرغموه على التخلى عن ادارة « مجــلة الآداب » ، في نفس الوقت الذى يتظاهرون فيه برفض استقالته.

ماجى : ماذا تعنى بقولك « أرغموه » ؟ كل ما أعرفه أنا هو أن والدك ــ حسب ما يقوله أبى ــ أكــثر أهــل الأرض حساسية ، وهو يمسرح اتفــه الأحداث ، ولا يرى حيثما ولى وجهه ــ سوى اهانات شخصية ــ وانتهى الأمر بأبى ــ الذى هو الصبر ذاته ، أن طفح منه الكيل ، فكان من الطبيعى جدا . . .

المنظر التاسع

نفس الأشخاص ــ اميديه

أميــديه : أهنئك يا آنسة ، فها أنت تأتين إلى بيتى لتبصير أهلى بعيوبى : وهذا تصرف غاية في الرقة ، وخليق

بالزمن الذى نعيش فيه. تهانئى ، يا آنسة . من الحق أنك تربيت في مدرسة طيبة يا آنسة.

ماجى : (بصوت بالغ الحدة) سيدى، لا أسمح . .

إيفيلـــين : ألا تدركين يا ماجى أن هذا كله من قبيل الهزل؟ تعالى معى نتجول في الحديقة ، فهذا أفضل كثيرا

ماجى : إن كان يجلب السرور إلى نفسك ، مثلا!

إيفيـــلين : طبعا ، طبعا .

ماجى : كان الأمر يحتاج حقا إلى طيبة أبي التى لا يصدقها العقل ، وتسامحه الذى لا مثيل له. .

(تخرج بصحبة ايفيـــلين)

المنظر العاشر

اميديه ــ ستللا ــ آرنو

أميـــديه : هذا شيء فريد . . . ألا حطّم وَصْمات الانحلال التى يعرضها وجهُ هذه المخلوقة ؟ .

آرنـــو : (في بساطة) ، لا أدرى ، ولكننى أرى أن ماجى مخلوقة فاتنة .

أميـــديه : ماذا ؟

آرنو : أعتقد أنها لم تخترع البارود ، وأن لها شخصية على شيء من الوقاحة ، ولكن . . .

أميديه : فاتنة ؟ إنها فقمية* !

آرنو : هذا ما لا أعرفه .

ستلا : وما معنى « فقمية » ؟

أميديه : يا طفليّ المسكينين ، لست أدرى ، أن أشد ما يحزنني في جهلكما المشين ، هو أنه جهل أمين ، والأدهى من ذلك أنه ضرب من البلادة الصفيقة . . .

آرنو : ليست غلطتي أن وجدت ماجي فاتنة

أميديه : بكل تأكيد . فالمخلوق الشائه ليس مسئولا عما به من تشويه . (ينفجر آرنو ضاحكا) أين وجه الضحك في هذا ؟ وانى لاتساءل مرةأخرى عامدا : أليس الشطر الذى ينتمى إلى الاختيار الحر من طريقتنا فيالوجود أكبر كثيرا مما يذهب اليه اعتقاد الناس ؟ (إلى آرنو) وفضلاعن ذلك ،

---

* ترجمة كلمة Prognathe ومعناها الانسان البدائي البارز الفكين .
(المترجم)

يا بنى ، إذا اعتقدنا فيما يقوله ذلك الدكتور الذى يُجِلُّونَه في الكنيسة ـ التى هى كنيستك ، والذى اجله إلى غير حد . .

آرنو : لست لاهوتيا ، يا أبى .

أميديه : ودون أن تكون لاهوتيا ، كان ينبغى أن تهتم ـ على ما يبدو لى ، بالتفكير في إيمانك . ومعتقداتك التى ربما وجدتُ في مشاطرتك إياها شيئا من العذوبة ، تبدو لى أنها في جملتها . . . (إلى ستللا التى أخذت تتثاءب) ستللا ، ألا يحتاج هضمك : إلى شىء قليل من المراقبة ؟

ستللا : لماذا يا أبتى ؟

أميديه : هذه التثاؤبات التى جاءت في غير أوانها . . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ـ ايفيلين

إيفيلين : (عائدة من الحديقة) بدأ المطر .

ستللا : هل عادت جدتى ؟

أميديه : ما زالت جدتك في مكتب البريد ، وقد صحبتها

مدام بويجرلان التى التقينا بها عند خروجنـا في عربتها ، وسوف تعود بها بعد لحظات .

آرنـو : (إلى إيفيلين) وماجى ؟

إيفيـلين : إنها لم تشأ أن تواجه صواعقك مرة أخرى يا أميديه. فاذا ظننتَ أنك قد أرهبتهما ، كان من واجبى أن أبدد هذا الظن . إنها تعرف نفسها ، هذا كل ما في الأمر ، وهى تعلم أنها تسيطر على نفسها في صعوبة ، ولهذا فقد خشيت . .

أميـديه : لا يهمنى في قليل أو كثير ما تقوله هذه المأفونة أو ما تفكر فيه يا إيفيلين . ولكن هل أفهم من من ذلك أنك انحزت إلى أعدائى ؟ حينـذاك ، يكون الأمر خطيرا . (صمت) هذا صمت ملىء بدلالة رهيبة ، يا طفلىّ المسكينين ، أليس كذلك؟

إيفيـلين : اسمع ، ياصديقى ، حين يكون السؤال خاليا من المعنى ، يبدو من باب الاحسان أن أتركه بلا إجابـة .

أمـديه : (بفظاظة) إيفيلين ، هل يخامرك شك في أننى قد شخت عشر سنوات منذ ستة اشهر ؟

إيفيلين : ومن ذا الذى استطاع أن يُدْخِل هذه الفكرة في رأسك ، مثلا ؟

أميديه : إنها ليست فكرة يا إيفيلين ، إنها بينة . فأنا احلق ذقنى كل صباح يا إيفيلين ، وأرى وجهى فى مرآتى .

(تضحك إيفيلين ضحكات هستيرية ،وينفجر آرنو بدوره ضاحكا .)

ستللا : أنتم مضحكون . . .

أميديه : هَوِّ نى عليك يا طفلتى . هذا الضحك يروق لى ، انه ينير بصيرتى. انا لا أتحدث عن آرنو ، فانه عرضة لنوع من التهلل الذى نصادفه عند بعض الكائنات البدائية . . إلى حد ما .

آرنو : شكرا .

ميديه : . . . أما ضحكة أمك الثانية فانها تعلمنى أشياء أليمة . . (يشتد ضحك إيفيلين) إن رجلا ينحدر إلى الشيخوخة . . رجلا يتألم ، رجلا يغدر به أصدقاوءه ، بعد أن غدرت به الحياة نفسها . . هذا شيء مضحك بكل تأكيد يا إيفيلين ، مضحك بدرجة لا سبيل إلى مقاومتها .

إيفيلين : (دون أن تكف عن الضحك) أرجو عفوك يا أميديه . . أعترف بأن هذا شيء لا يليق ، ولا أستطيع . . .

(تخرج مهرولة وهى تضغط بمنديلها على فمها)

(صمت)

المنظر الثاني عشر

اميديه ـ آرنو ـ ستلا

أميديه : (مشيرا باصبعه إلى الباب الذى خرجت منه) ، ماهذا ؟

ستلا : أنت تفهم ، يا أبى . . .

آرنو : هذه تصرفات آلية . . ولا أهمية لها على الاطلاق .

أميديه : ماهذا ؟

ستلا : اننا جميعا عصبيون قليلا هذه الأيام الأخيرة . . فالجو ثقيل جدا ، هذا حق .

أميديه : عصبيون . . الجو . . هذه كلها اعذار واهية يا بنى أما أنا ، فلا يمكن أن اكون مخدوعا .

آرنو : لقد ساءلت نفسى عما إذا كانت إيفيلين . . .

أميــديه : ثم ماذا ؟

آرنــو : من المحرج إلى حد ما أن أحدد ما أريد .

ستــلا : ولكن ، ماذا تريد أن تقول يا آرنو ؟

آرنــو : (مرتبكا) يبدو أن مزاج النساء في مثل هذه الحالات يصبح شاذا نوعا ما ، متقلبا نوعا ما . . .

ستــللا : وكيف ؟

أميــديه : لو أن حادثا من هذا القبيل يُعَد في هذا البيت ، فمن البديهى ألا نمزق الغلاف الرقيق الذى يحيط . . بالصمت والحياء عن طيب خاطر . . ولكن يبدو أن هذه التخمينات المتضارية لاتجيب على شىء .

آرنــو : ليس في امكانك أن تعرف يا أبى ، فلعل إيفيلين لم تكن تريد أن تقول لك شيئا .

أميــديه : (في لهجة قاطعة) لا أريد كلمة واحدة بعد ذلك عن هذا الموضوع ؛ أعتقد بالحرف . . . . . . أحلم (فترة صمت) . لقد لفتت نظرى — هذه الأيام — صديقتى العزيزة جدا مارى — إستيل دى بويجرلان — إلى أن أمكما الثانية تتآلف في صعوبــــة مــع حياة العزلــة والتأمل التى تحياها هنا .

ستللا : أنا لا أحبها كثيرا . . هذه الحياة . . وكنت على وشك أن اسألك عما إذا كانت هناك وسيلة للرحيل إلى إيطاليا بعض الوقت في سبتمبر .

أميديه : إلى إيطاليا ؟ ولماذا إلى إيطاليا يا ستللا ؟ وما جدوى هذه الرحلة الباهظة التكاليف ؟

ستللا : الحياة ليست غالية هناك ، والسفر بالتخفيضات...

أميديه : في هذه اللحظة التي نحرص فيها على أن نفرض على أنفسنا كل ضروب التقشف . لقد أوقفت — لأسباب اقتصادية — اشتراكي في مجلتين للفنون كنت أواظب على قراءتهما طيلة السنوات العشر الماضية .ثم ، ماذا تريدين أن تفعلي في إيطاليا ؟ لقد لاحظت منذ زمن بعيد افتقارك إلى الصمود في المتاحف والمعارض .. وإذا كانت المناظر هي التي تغريك بالسفر إلى هناك ، فصدقيني لن تجدى فيها شيئا أبدع مما تضمه بلدنا فرنسا ، في أقصر نزهة تقومين

ستللا : ولكنني أعرفها ..

أميديه : أتعرفين حقا معنى المشاهدة ؟ انى لأسال نفسي : ما معنى النظر إلى الأشياء ؟ عندما جعلتك تأخذين

فيما مضى دروسا في الرسم ، فهل واظبت عليها ·
إنك تفتقرين إلى المثابرة ، ولعل هذا هو أخطر
عيوبك ، وأخشى أن يؤدى بك ذلك إلى ضروب
شتى من خيبة الأمل . وبهذه المناسبة ، آن الاوان
لكى ألفت نظرك بكل مافي وسعى ، وحان
الوقت لتحديد موقفك من الشاب آلان دى
بويجولان .

ستللا : ولكنه يا أبى ، مجرد زميل لطيف، ولا شيء
أكثر من ذلك .

أميديه : (نافد الصبر) ستللا ، أرجوك ، لاداعى لتلك
الكلمات التى لاتعنى شيئا . ولن أزيدك علما
حين أؤكد لك أن هذا الفتى الحاكم يُكِنُّ لك
مشاعر غاية في الرقة . ومسلكه في حضورك
لايترك مجالا لأدنى شك ، وفضلا عن ذلك ،
أكدت لى والدته ما فطنتُ إليه . وقد أجد من
الصعب على — بكل تأكيد — أن أكون حَكَماً
على شاب ربما كان التحفظ هو سمته المميزة .
غير أننى ارى فيه بعض الملامح التى اقدرها في
والدته منذ . . عشرات السنين . أجل ! كنا
نلعب سويا أمام تلك الصور في منتزه « مونسو »

الذى لاتحبونه على الاطلاق ، دون أن أدرى لذلك سببا . واحسبنى قد لاحظت أيضا عند آلان دى بويجرلان ذلك التواضع ، ذلك النزوع إلى الاحترام ، الى مراعاة مشاعر الغير ، تلك الصفات الـتى تنقص معظـم معـاصـريك يا صغيرى آرنو ، نقصا يدعو الى الأسى . أنا لا أتحدث عنك في هذه اللحظة ، لأن حالتك خاصة جدا . . وأيا كان الأمر ، لا أغالى ان حذرتك مـن اتجاه معين – أينبغى أن اسميه تسويفا ؟ . . يمكن أن يؤدى أحيانا إلى الخلاعة .

آرنـو : أوه ! أبى ، إن ستللا ليست خليعة ، ولا أرى فيها شيئا من ذلك .

إميـديه : لا ينبغى أن نتلاعب – حتى لو كان ذلك عن غير قصد – بمشاعر – أيـا كان موضوعها فهى تستقر في أسمى مكان من الطبيعة الانسانية .

سـتللا : ولكن ، ليس ذنبى ، إذا كان آلان . . .

أميـديه : سنعاود الحديث في هذا الموضوع على راحتنا . . فها هن السيدات قد ظهرن .

المنظر الثالث عشر

نفس الأشخاص ـ مدام شارتران ـ مدام دي يو يجرلان

مدام شارتران : تا ، تا ، تا ، لعلهم لا يأتون ليرووا لى حكايات . أما أنا ، فقد رأيت هتلر ، رأيته كما اراكم الآن ، في بيرويتْ ، في الصيف الماضى . .وإنى لأؤكد لكم أن له لَسَمْتا ، وبساطة !. . وإنه لساحر . وإن المرء ليدرك على الفور أنه إزاء شخصية ، وفضلا عن ذلك ، كدنا أن نتعارف عند الأميرة « ماشان » التى كانت ابنة أخيها تنزل في فندقي . . على أى حال ، لا أهمية لذلك .

مدام دى بويجرلان : (مرتاعة) ألم يلق ذلك بالرعب في نفسك ؟

مدام شارتران : أنا ؟ ولماذا ؟ انني لست خجولا . أتدرين ، ماكان ينبغي عمله ؟ دَعْوَتُه بكل بساطة — إلى باريس لزيارة المعرض . وأقول لك إن الباريسيين كانوا سيفتنون به . لقد جعلوا منه شيئا مخيفا ، وهذا أمر شائن .

مدام دى بويجرلان : ولكن ، أتعتقدين أنه كان سيقبل الدعوة ؟

مدام شارتران : طبعا ، بكل سرور ، إنه رقيق ، ذلك الرجل ، وما عليك إلا رؤيته .

مدام دى بويجرلان : ومع ذلك فانه يوم ٣٠ يونيو . .

مدام شارتران : (في تهكم) أكنت هناك ؟ وهل لديك مصادر خاصة للمعلومات ؟أما أنا ، فلا يعنيني ما يقال .

مدام دى بويجرلان : ولكن الصحف . . . .

مدام شارتران : الصحف أتعرفين كيف تعد الصحيفة ؟ كلا ؟ طيب ، أنا أشك فيها . ولكي نعود إلى صديقنا أدولف ، ينبغي أن يمكث شهرا على الأقل . ثم أن يتناول عشاءه عنـــد هؤلاء ، وأولئك . . وسيرى شيئا من رجالنا البواسل الذين لايعرف عنهم شيئا . أنا مثلا ، كم يضايقني ذلك ! سأقول له : « مارأيك ، يا مسيو هتلر ، إنك لن تعلن علينا الحرب ! كلا ، طبعا ،فليست هذه أعمالا تليـــق بك . كان ذلك معقولا في الماضي ، أما اليوم ، مع كل تلك المخترعات ، والعلم . . . هيا بنا هيا بنا ! . . . »

مدام دى بويجرلان : إن جدتك رائعة ، يا صغيرتي ستللا .

أميـــديه : إن والدتي تتمتع بحيوية ، بل أضيف ، بتفاؤل يقلقنا ويسعدنا في آن معا . إنها أكثرنا شبابا ، نحن جميعا .

مدام شارتران : طبعا . ليس هذا بجديد .

أميـــديه : ولكن ، انت ، ياماری — إستيل ، أتثير السياسة في نفسك حقا شيئا من الاهتمام ؟

مدام دی بويجرلان : لأنها تمتزج امتزاجا فظيعا بوجودنا ياعزيزی أميديـــه ، وحين يكون للمرء ابن في الثالثـــة والعشرين من عمره . . .

أميـــديه : دون شك ، دون شك .

مدام دی بويجرلان : وحين يفقد المرء زوجه بسبب الحرب . . .

أميـــديه : أجل ، زوجك ألبيريك المسكين .

مدام دی بويجرلان : من الصعب ألا يطارد الانسان التفكير فيما يمكن أن يحدث .

مدام شارتران : (في لهجة حاسمة) أرجوك ياصديقتي الصغيرة ، الصغيرة ، أن تَدَعِي الأفكار الثابتة ، وإلا انتهى الأمر بدخول أحد الملاجئ ، وهذه مسألة لاتسر على الاطلاق ، وخاصة بالنسبة للوسط

الذى نعيش فيـــه . وحين فقـــدت إرنست ، اعتقدت بكل بساطة انى صائرة إلى الجنون . . . ولكننى استأنفت الحياة، فليس من حق الانسان أن ينساق وراء أحزانه .

مدام دى بويجرلان : لايملك الناس جميعا مـــا تملكين من مرونـــة ، ياسيدتى العزيزة .

مدام شارتران : هذا معناه أن الناس لم يعودوا يعرفون ما الارادة .. أتسمعيننى : الا — را— دة .

أميـــديه : ومع ذلك ، يبدو لى أن مارى — استيل حين قررت تربية ذلك الصبى الكبير ذى العينين الزرقاوين — هـــل هما زرقاوان حقا ؟ كلا ، بل لونهما أزرق—حاد — حين قررت ذلك . عرفت كيف تُبْدِى علامات على تكُريس ينطوى على إصرار ، ويقترب من البطولة . وانى لاحتفظ بذكرى بعض أمراض الطفولة — كالحصبة أو السعال الديكى — حين كنت طيلة ليال عديدة . . .

مدام شارتران : كان من الأفضل لها أن تتخذ ممرضة . فما جدوى تحطيم صحة المرء بجوار المرضى ؟ فإن عليهم

فيما بعد أن يقوموا برعايتك . هذا شيء لا تقبله أفكارى .

أميـــديه : هناك ضرب من الافراط ـــ سواء أكان معقولا أو لم يكن ـــ يحوز إعجابى دائما

مدام دى بويجرلان : (في شيء من الخبث) الشيء الساحر في أميديه هو أنه يتحدث كما يكتب تماما ، وما أروع خطاباته ...

أميـــديه : لا أحب أن اخالفك الرأى يا ماري ـــ استيل ، ولكننى أعتقد بالأحرى أننى أكتب تماما كما أتحدث . ولا تنسى أننى تلقائى كبير .

(صمـــت)

مدام شارتران : الواقع ، ياستللا ، أن هناك امرأة اشبه بالجنية « كارابوس* » تزعم أنك ضربت لها موعدا .

ســـتلا : آه ! ...

مدام شارتران : قلت لها أن تنتظرى في حجرة المكتب الصغيرة . أظن أنها جاءت لعمل ما ؟

ســـتللا : (بانفعال) لماذا لم تخبرينى بهذا من قبل ، يا جدتى ؟

---

* Corobosee ، وهي جنية يصفها الفولكلور الفرنسي بانها عجوز حيزبون حدباء لا تصنع سوى الشر .

مدام شارتران : (في ضحكة تقلد بها الغولة) « حُدْب الفالــو الصغار* »، شيء من هذا القبيل . . وان كان أن انصحك ، فلا تتركي نفسك عرضة لاحتيالها .

ســتللا : ليس هذا ما تعتقدينه .

(تخرج)

مدام شارتران : على كل حال ، اصحبيها الى هنا ، الساعة الآن الحادية عشرة والنصف ، وسأذهب للجلوس في حجرة الكتب الصغيرة مع كتبي ، فالجو هنا شديد الحرارة .

مدام بويجرلان : أتقرأين بغزارة ؟

مدام شارتران : انني أعيد قراءة الكتاب المجيدين : فولتير ، رينان ، والقلم في يدي . . هذه طريقتي الخاصة في الصلاة . هأ . . هأ . . هأ !

أميــديه : وأنت ، ياماري – ستيل ، أرجو ألا تكوني قد أهملت المطالعة . . .

مدام دي بويجرلان : انا لم أعد أقرأ بتاتا ، رأسي قد أصابها الصداع . .

---

* هذا عنوان اغنية شعبية قديمة و « الفالو » مقاطعة فرنسية قديمة ، يضمها الآن اقليم الوار . (المترجم)

هذه الحوادث كلها . . ان أحدا لم يكن يتنبأ بوقوعها .

أميـــديه : انك تجنحين الى المبالغة ، ياماري – استيل ، فليس الناس جميعا مخطئين . وعندما اقرأ بعض الرسائل التي كتبتها إلى أسرتي عام ١٩١٢ ، وكنت حينذاك في الخامسة والعشرين ، ارتاع من صفاء بصيرتي ، ولعلك تسمحين لي أن اقرأ عليك بعض فقراتها يوما مـــا على سبيل حـــب الاستطلاع .

ســـتللا : (مقبلة ، وتوجه الكلام إلى الآنسة فرو التي تتبعها) مـــن هنا يـــا آنسة ، من فضلك ، دعيني أقدمك .

أميـــديه : (عند رؤية الآنسة فرو) آه !

ســـتللا : أقدم اليك أبي ، جدتي ، مدام شارتران ، مدام دي بويجرلان ، الآنسة فرو . ربما كان من المستحسن ان أصحب الآنسة إلى حجرتي .

أميـــديه : كلا . . اطلاقا . . سأعود على الفور .

ســـتللا : ولكن ، يا أبي .

الآنسة فرو : لا أريد ازعاج أحد .

مدام دي بويجرلان : (إلى ستللا) تذكرى اننا نعتمد عليك غدا لتذوقه ؟ وعلى آرنو أيضا ، بالطبع .

ستللا : ولكننى ، لا أدرى ان كنت أستطيع .

مدام دي بويجرلان : لاتخلفى وعدك يا حبيبتى ، فسيحزن آلان أشد الحزن وأنا لا أراه على ما يرام في هذه الايام إلى اللقاء .

(مُصَافَحَات بالأيدى)

أميديه : سأصحبك حتى عربتك ياماري — استيل .

مدام شارتران : أما أنا فسأعود إلى شعبى اسرائيل . . إنه عمل مثير . آه ! من هؤلاء اليهود . . . ومع ذلك ، فمسيو هتلر لم يخطئ تماما . . هيابنا ، إلى اللقاء .

(تومئ برأسها ناحية الآنسة، وتخرج من جهة اليمين)

المنظر الرابع عشر

ستللا ـ آرنو ـ الآنسة فرو ـ ثم اميديه

الآنسة فرو : (تنتصب أمام آرنو) إنه شديد الشبه بأمه المسكينة ! .. لدرجة أننى لو صادفته في الطريق لتعرفت عليــه .

آرنـــو : لقد التقينا من قبل يا آنسة ، على ما يبدو لى .

الآنسة فرو : منذ زمن بعيد جدا .

ســتللا : (بصوت مرتجف) كنت اعتقد بالأحرى أننى أنا التى اشبه أمى .

الآنسة فرو : شىء في نظرة العين ، وفي رنة الصوت أيضا . أما هو ، فيأخذ منها الوجه البيضاوى ، والثغر ، والذقن . . .

ســتللا : هذا حق .

آرنـــو : إن أوجه التشابه ، تبدو لى دائما غير واضحة . . .

الآنسة فرو : انى أردد ماتقول ، بأعلى صوتي.

ســتللا : اجلس يا آنسة . إننى في غاية من السرور لأنك

تمكنت من الحضور . . . فقد كنت أخشى . . منذ ذلك اللقاء عند آل موريس . . كم كان أمرا غريبا . . غير متوقع .

الآنسة فرو : ليس بالنسبة لى ، فقد كنت أعرف .

ستللا : كيف ؟

الآنسة فرو : إننى نفسانية كبيرة . . وأملك ضروبا من الحدس لاتخدعنى أبدا ، أتفهمين .

آرنو : إننى أشفق عليك يا آنسة . . .

الآنسة فرو : وهذا في حد ذاته ميزة عظيمة ، ولكن ينبغى أن أن يكون المرء جديرا بها . . ثمة رياضة كاملة للروح . .

ستللا : هذا شيء خارق للمألوف.

الآنسة فرو : إطلاقا . . فليس هناك ماهو أبسط من ذلك ، على شرط أن يكون المرء خاضعا للتوجيه . .

ستللا : لتوجيه مَنْ بالضبط ؟

الآنسة فرو : ينبغى أن يكون المرء سالكا ، هذا كل مافي الأمر.

ستللا : سالكا في أى شيء ؟

الآنسة فرو : اذا انعقدت فيما بيننا — على ما اتعشم — أواصر

علاقات وطيدة في المستقبل ، فسوف أعيرك كتبا . . هندوكية ، بوجه خاص ، وأمريكية . . وسأجعلك تقابلين أشخاصا مُعْجِزين . إنه عالم بأكمله ليس لديك عنه أدنى فكرة .

ستللا : ولكن حتى يحين ذلك الوقت يا آنسة ، نحب أشد الحب أن . . أليس كذلك يا آرنو ؟ انى اعتمد عليك يا آنسة . . اعتمادا لاتدركين مداه . فما من أحد يحدثنا إطلاقا عن أمنا . . وانت ـ كما قلت لى ـ عرفتها جيدا ، و . .

أميديه : (عائدا من الحديقة) أرجو معذرتك يا آنسة ، كدت أبدو لك جِلْفا لايعرف المجاملة .

ستللا : إذا كنت في حاجة إلى هذه الحجرة ، فمن الممكن أن نصحب الآنسة إلى غرفتى .

أميديه : أبدا . أتسمحين لى يانسة أن اسألك عن سبب تشريفنا بهذه الزيارة المفاجئة ؟

الآنسة فرو : إذن ، فأنتِ لم تخبرى والدك بشيء من لقائنا في بيت آل موريس ؟

ستللا : كلا . . على ما أعتقد .

الآنسة فرو : شيء غريب .

آرنو : لكل منا يا آنسة وجوده ، وعلاقاته . .

الآنسة فرو : جميل : ولكن مادخل الأسرة في كل هذا ؟

أميــديه : أفهم من هذا انك التقيت بابنى عند . . . شخص ثالث .

ستــللا : عند جان موريس ، يا والدى .

أميــديه : هذا الاسم لايعنى بالنسبة لى شيئا على الاطلاق . وعلى كل حال ، لا أهمية لذلك ، في هذه اللحظة على الأقل . هل تجاذبتما أطراف الحديث؟

الآنسه فرو : هذه الطفلة لم تكن مجهولة عندى ، فقد كنت مدرسة أمها العزيزة ، وموضــع سرهــا . . . (تلوح علامات التساؤل على وجه أميديه) كلا ، ياسيدى ، انا لا أضيف إلى ماتعلمه شيئا . . فلقد التقينا مرارا ، في ظروف لم تنسها . وفضلا عن ذلك ، لست ممن يمكن نسيانهم ابدا ، ياسيدى ، فثمة علامة تميزنى ، وأنا أعرفها .

ستــللا : لقد كنت أنــا التى توسلت إلى الآنسة فرو أن تحضر لرؤيتى ، عندما علمت أنها تقطن في الضواحى عند بعض الاصدقاء ، فلدينا ــ أنا

وآرنو — عدد من الأسئلة التى نريد أن نوجهها إليها .

أميـــديه : آرنو ؟ . . . أسئلـــة ؟ . .

آرنـــو : لقد تعذبت ستللا عذابا شديدا في هذه الأيام الأخيرة .

ســـتللا : أرجوك ، يا آرنو ، ليس الآن . . إذا سمحت — يا آنسة — يمكن أن نصعد إلى غرفتى ، وهناك ننعم بالهدوء التام .

أميـــديه : لن أسمح بذلك . هل لى أن اسألك يا آنسة ، إن كنت قد حاولت مراسلة طفلىّ ؟

الآنسة فرو : (في ازدراء) رسائـــل ! . . . أنـــا لا أومن إلا بالحضور وجها لوجه . . وفضلا عن ذلك ينبغى أن ينضج الحدث ، أو اللقاء ، كما تنضج الثمرة . هذا ماعلمتنا إياه — ضمن اشياء كثيرة — مدام هيلين سيدنى .

أميـــديه : ومن تكون مدام هيلين سيدنى هذه ؟

الآنسة فرو : ألا تعرف من تكون مدام هيلين سيدنى ؟

أميـــديه : كلا يا آنسة ، وليس لدى عنها أدنى فكرة .

آرنــو : ولا أنا أيضا ، وإنى اف ث .

الآنسة فرو : رجل يقول عن نفسه إنه مثقف ، ويجهل وجود شخصية هى أعظم الكائناتالتى ظهرت على الأرضفي قوة الاشعاع — فلا عجب أن تعيش أوروبا التعسة — بعد ذلك — في حالك الظلمات ! انظروا .

(تخـــرج صورة فوتوغرافيـــة من حقيبتها ، يشرئب آرنو وستللا للنظر فوق كتف أبيهما.)

أميـــديه : أواثقة أنت من أن هذه امرأة ، يا آنسة ، انها أشبه بالبولدوج ، أو بأحد رجال الكهنوت .

الآنسة فرو : عفوا ياسيدى . ، ان مدام هيلين سيدنى هى المُوَلّدة وفقا لروح رادا مورتى . .

أميـــديه : كريشنا مورتى .

الآنسة فرو : لاتحدثنى عن هذا الدجال . . . إنها وفقا لروح رادا مورتى ، الملاك الفادى الذى سوف ينتزع العالم من براثن المادية .

أميـــديه : وهل تحتفظين أيضا بصورته ؟

الآنسة فرو : في بيتى . . وهو يهم بلعب الجولف .(ينفجر

آرنو ضاحكا) بحق السماء ، لاتضحك ، يابنى . فهذه الضحكة التى اطلقتها تخترق قلب أمك المسكينة التى تراك وتسمعك من أعماق العالم الآخر . . .

ستللا : أبى ، أتوسل إليك ، هذا محال ، لايمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال ، أشعر بأن رأسى تنفجر ، ماذا يضيرك لو تركتنى بضع لحظات مع الآنسة فرو ؟

أميديه : بل على العكس ، عندى من الأسباب التى تجعلنى لا أسمح بهذه المحادثة الخاصة ــ أقواها وأشدها حسما .

ستللا : ولكن ، هـذا هو الجحيم بعينـه ، فليس من حقك . . .

أميديه : ليست المسألة مسألة حق ، بل مسأاة واجب مقدس .

ستللا : أنت لاتعرف ما أريد أن أسأل الآنسة عنه .

أميديه : إن ما أجهلـه بوجه خاص ، هو أنها ستكون قادرة على الاجابة على اسئلتك .

ســتللا : أهناك اذن ماتخشاه ؟

آرنــو : أرجوك يا آنسة ، ألا ترين أن شقيقتى على شفا انهيار عصبى ؟

الآنسة فرو : كثيرا ما اوضحت مدام هيلين سيدنى الدور الصحى الذى تقوم به الصدمات في الانطلاقة الروحية .

أميــديه : حسبك يا آنسة ، لقد سمعنا ما فيه الكفاية . تسدين إلى معروفا بمغادرة هذا المنزل .

الآنسة فرو : (في صوت بالغ الحدة) لن أفعل شيئا من ذلك ياسيدى ، وما عليك إلا أن تدق الجرس لخادمك لنرى إن كان سيجرؤ على وضع يده على امرأة لاحول لها ولاقوة .

المنظر الخامس عشر

نفس الأشخاص ـ ايفيلين

إيفيــلين : ماذا حدث ؟

ســتللا : إيفيلين ، تعالى لنجدتى ، يا إيفيلين . . .

أميــديه : أى عزيزتى إيفيلين ، ليتك ظهرت قبل ذلك

بيضع دقائق ! إذن ، لكنت تلقيت من فم الآنسة توكيدات مطمئنة إلى أبعد حد ، يبدو أن العالم على وشك الخلاص . . .

إيفيـــلين : ماذا ؟ ماذا ؟

أميـــديه : على يد سيدة لها سحنة البولدوج ، وملاك يلعب الجولف .

آرنـــو : إيفيلين ، أرجو أن تصحبي ستللا ، فهى لم تعد تقوى على الوقوف .

الآنسة فرو : إنى راحلة ، إنى راحلة . . لقد فكرت مليا أى جديد استطيع ان اخبركم به ؟ (إلى آرنو) يخيل إلى أنك قد بلغت سن الرشد ؟ . . .

آرنـــو : (مذهولا) وما العلاقـــة ؟

الآنسة فرو : هل بلغت سن الرشد ؟

آرنـــو : إننى في الرابعة والعشرين .

الآنسة : إذن ، فقد تسلمت الخطاب . . .

ســتللا : أى خطاب ؟

آرنـــو : أى خطـــاب ؟

الآنسة فرو : الخطاب الذى تركته أملك قبل وفاتها ، واوصت

موثق عقودها أن يسلمه إليك بمجرد بلوغك سن الرشد .

آرنـــو : ماهذا الاختلاق ؟

الآنسة فرو : اسأل والدك ، إن كان ذلك اختلاقا .

أميـــديه : لن أقدم حسابا لمعتوهـــة .

الآنسة فرو : ليس أيسر عليك ياصغيرتي ستللا من أن تكتبي إلى مسيو جاردفو ، موثق عقود أمك ، ومن السهل عليك العثور على عنوانه ، ورقم تليفونه. . هيا، هيا.. سأترككم، وأنا مطمئنة ، إنكم الآن في رعاية طيبة . . واذا اقتضى الأمر ، ابعثوا إلى بطالعكم في الوقت المناسب ، إلى اللقاء جميعا.

(تخـــرج)

المنظر السادس عشر

اميديه ـ ايفيلين ـ آرنو ـ ستللا

ســـتللا : ماهذا الخطاب ؟ آرنو ، تقسم لى . .

آرنـــو : ستللا !

ســـتللا : إذن ، فقد أخفـــوه . أبى !

أميـــديه : أنا لا أقيم وزنا لاتهام مأفون . . .

ســتللا : (تتحسس جبينها براحتها) هذا صحيح ، إننى مجنونة ، إيفيلين ، لقد أصبحت مجنونة . . أنا أيضا . . (إلى أميديه) هذه غلطتك . لماذا لم تشأ أن تقول لنا شيئا على الاطلاق ؟

أيفيـــلين : هدئى من روعك ، ياصغيرتى ، أتوسل إليك. ...

ســتللا : ذلك المرض الذى لانهاية له ، غير المفهوم . . أكان مرضا عقليا ، عقليا ، كما يقولون ؟ولكن، ماذا يحملنى على الاعتقاد في ذلك ؟ ثمة اناس يُسْجنون دون سبب ، لأنهم يعوقون غيرهم . . . لاتنكر ذلك . انا اعلم ان هذه أمور تقع ، وقد قرأت عنها . ومنذ تلك اللحظة ، لم أعد أحيا . .

آرنـــو : إنك تهذين ، يا صغيرتى ســتللا ، أقسم على ذلك.

ســتللا : وما الذى يسمح لك بأن تؤكد ذلك ؟ من أدراك؟

آرنـــو : هذا مشهد روائى .

ســتللا : أنت جبان ، وربما كنت متواطئا معهم ، إننى احتقرك ، أنت ، ودينك الذى يتقبل كل شىء، ويحتمل كل شىء ، ولا يسعف أحدا ، ولا يناضل في سبيل أحد .

إيفيـــلين : ولكنك جائرة ، شنيعة ، وستندمين على ذلك يا صغيرتى . .

ســـتللا : (إلى أميديه) انني مصرة على أن تخبرنى بالحقيقة : ماذا حدث ؟ لماذا لم نرها ثانية على الاطلاق ؟

إيفيـــلين : (إلى أميديه) أميديه . . . ليس من حقك . . .

أميـــديه : لاتخافي ، يا إيفيلين .

ســـتللا : (إلى إيفيلين) وأنتِ أيضا ، تتخلين عنى . . آه ! هذا فظيع . . أمى ! أمى ! (إلى أميديه) إذا رفضت الكلام ، فسأرحل . . سأختفى . . . ولن يمنعنى من ذلك انسان . . .

أميـــديه : أصغى الىّ ياستللا ، للمرة الاخيرة . إنك بهذا المطلب الشاذ . . .

ســـتللا : لا أريد عبارات منمقـــة !

أميـــديه : تزعمين ـــ دون أن يخامرك الشك ، وهذا ماأسلم به . . . اتهام ضميرى بارتكاب عمل شائن .

ســـتللا : ضميرك ! ليتك تعلم أن الأمر يستوى لدى !

أميـــديه : إنك تتحملين بهذا العمل مسئولية شديدة الخطورة.

ســتلا : وداعا .

(تعدو صوب الباب)

إيفيــلين : ســتللا !

(تجاهد للامساك بها ، غير أن ستللا تتملص منها .)

أميــديه : كانت تريد ذلك منذ أمد بعيد .

إيفيــلين : آرنو ! بحق السماء !

آرنــو : لم يعد في استطاعتنا أن نحول بينها وبين الكلام .

أميــديه : ســتللا ، هناك رواية قرأتِها — دون موافقتى — منذ بضعة شهور .

ســتللا : لست أدرى عمّ تتحدث ، لامجال للفوازير . . .

أميــديه : اذن ، فسأكون صريحا بقدر ما تطلبين منى . . . كان ذلك على أثر محاولة لدس السم . . .

ســتللا : ماذا ؟

أميــديه : كدت أروح ضحيتها — وبعدها كنت مرغما على طلب احتجاز املك التعسة .

ستللا : محاولة لدس السـ . . . هل أرادت أن تدس لك السم ، لك أنت ؟

أميديه : وكان لدى الدليل القاطع – وهى نفسها سلمت به . . . وهكذا لم تكن عندى وسيلة أخرى لحمايتنا نحن الثلاثة .

(صمت . ستللا تتهاوى – محطمة – فوق مقعد ، آرنو يركع على ركبتيه ، وقد أخفى رأسه بين يديه)

إيفيلين : (تتجه نحوهما ، وتضمهما الى صدرها) أيا طِفْلىّ الحبيبين . . أيا طِفْلَىّ ! . . .

الفصل الثانى

نفس ديكور الفصل الاول

المنظر الاول

اميديه – يتحدث في التليفون – ثم ايفيلين وآلان

(ما أن يدخل آلان الحجرة ، حتى تستلفته النظرات التى يصوبها أميديه ، وهو يبدو كأنه يوجه الكلام إلى آلان بقدر ما يوجهه إلى محدثه)

ميـــديه : ماذا تقول ياجارجييه ؟ إننى لا أسمعك جيدا . احتقار ؟ أوه ! حتى ولا هذا .

لان : (في صوت خافت إلى إيفيلين) ، ولكن ، أخشى ياسيدتى أن أكون قد أزعجتكم .

إيفيلين : أبدا ، أبدا ، فعندما يبدأ زوجى في اسطوانة من اسطواناته . . .

آلان : أيطيب له ذلك ؟

إيفيــلين : إنه يشعر دائما بالسعادة ، إذا وجد له مستمعا .

أميـــديه : (في التلفون) معذرة ياجارجييه ، فانهم يحدثون ضوضاء إلى جانبي . كلا . . . أؤكد لك أن هؤلاء الناس لايثيرون فيّ حتى الاحتقار . وإنما هو نوع من اللامبالاة الخالصة التي لايشوبها شيء . . وربما كان ذلك ضربا من المغالاة . .ولكن ، لا وجود لهم – في بساطة . . كيف ؟ ينبغي عليك أن تطلب فحص جهازك . جارجييه . . . لا وجود لهم من حيث المبادئ التي تتحكم في عالمي .

آلان : (في صوت هامس) من يكون جارجييه هذا ، ياسيدتي ؟

إيفيـــلين : إنه شخص مشلول ، ثقيل السمع ، مجموعة من المنوعات الانسانية ، المثيرة نوعا ما ، ولكنه لين العريكة إلى أبعد حد . وهو يوحي بالبلاغة ، ويطلبنا دائما بالتلفون . .

أميـــديه : لقد بعث إلى أحدهم يابنته منذ وقت قريب . .

إيفيـــلين : أوه ! . . ربما لتقوم معي ببعض التمهيدات. . لا أدري ، فلم أفسح لها مجالا للكلام . . الواقع ، إنه لا وجود إلا لشيء واحد على أكبر جانب من

الاهمية ، يقول لك ابنى إنه الخلاص ، وأعتقد أنا أنه توافق الانسان مع نفسه . . نوع من الحالة الموسيقية تكون فيها الروح .

آلان : إن ما يقوله مسيو شارتران يبدو لى غاية في الابداع.

(ترمقه إيفيلين في دهشة)

إيفيـــلين : (في صوى خافت) إلى اللقاء .

(تخــرج)

أميـــديه : لن يمر ذلك دون شيء من الكآبة . . ولكن ، صفاء النفس ياجارجييه ، صفاء النفس . لم اسألك عــن اخبارك بعــد . (دون أن ينتظر الاجابة) إنها هى نفسها ، مفهوم ، ولكن دون تفاقم . . إنه هذا ، دون تفاقم . إنك رواقي ، يا جارجييه ، إننا من معدن واحد ، ومع ذلك ، ينبغي الاعتراف بأن القدر قد أحسن الحكم باخضاعى . . كيف ؟ التليفون يرهقك ؟ . . . ولكن ، لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ياصديقى الطيب . . فلعلّ كنت أحاذر من تعذيبك . . حسبت أننى أرفه عنك ياجارجييه ، كنت تستطيع أن تبــين لى خطئى منذ مدة . ألف

معذرة . استرح ، ياصديقى الطيب ، استرح .
(يضع السماعة) هذا شيء لامثيل له (إلى آلان،
وفي دهشة مفتعلة) أنت هنا ، ياصغيرى آلان ؟

آلان : أرجو معذرتك ، إنها مدام شارتران التى أذنت لى بالحضور . جئت لأسأل عن أخبار . .ستللا. . .

أميـــديه : ستللا ، ليست مريضة ، على ما أعلم . . .

آلان : كان ينبغى عليها أن تحضر امس لتتناول معنا الشاى ولكنها بعثت بمن يُبْلِغنا أنها متوعكة . . . فانتابنى القلق . .

أميـــدية : أجل، أجل،تذكرت الآن ، إنه شيءمن التعب مرجعه إلى بدايات الحر ، فلا شيء يمكن أن يؤخذ مأخذ المأساة . (فيابتسامة بشوش) ، هدئ من روعك . . . هل أخطروها بمقدمك ؟ لاشك أنها تحرص على أن تطمئنك بنفسها .

آلان : (في حماس) كلا ، كلا ، لاداعى لذلك الآن . فأنا لااريد اغضابها .

أميـــديه : إن افراطك في رعايتها لايمكن إلا أن يؤثر عليها أشد التأثير .

آلان : أوه ! لست أدرى . (يتفحصه أميديه في عطف ظاهر ، فيخفض آلان عينه) انها أحيانا. محيرة قليلا ، ألا ترى ذلك ؟

أميـــديه : كلا ، فأنا لااستطيع القول بأن أولادى يحيرونني.

آلان : آرنو ، شيء مختلف ، فهو دائما على وتيرة واحدة ، وإن المرء يعود ليجده كما تركه . على حين أن ستللا . . لايستطيع المرء أن يتنبأ أبدا . . لقد بدت في أول الأمر واثقة ، بل أستطيع أن أقول ودودا ، أثناء نزهة بأكملها ، وفي اليوم التالى أراها باردة ، بل تكاد أن تكون غريبـــة عني . وأحيانا أخرى ، تتغير فجأة أثناء الحديث ففى لحظة تكون معى ، وبعد لحظة واحدة ، تشرد بعيدا لا أدرى أين .

ميـــديه : صدقني ، إنه لاينبغى أن تعير هذه النزوات . . هذه التقلبات في مزاج فتاة صغيرة — اهتماما مبالغاً فيه .

آلان : إنني أتوه في الافتراضات . . إننى أتعذب . .

أميـــديه : (في لهجة حاسمة) أنت مخطئ . وأعتقد ان الجسد هو سبب الكثير من هذه الاختلالات .

آلان : (مضطربا) بـ الجسد ؟

أميـــديه : لقد أثبتت لى التجربة أن النساء يعتمدن عـــلى تكوينهن العضوى إلى درجة لاتستطيع نحن — الرجال أن نتخيلها ايه ! أجل ، وهذه هى الفدية التى نقدمها مقابل كل مايمكن أن نحبـــه في تلك المخلوقات الرقيقة الساحرة .

وإياك أن تظهر لهن أنك لاحظت شيئا : فهذا شيء لايغتفرنه لك .

إنهن لايرضخن أبدا لحالة من العبودية — يحكمن عليها خطأ — بأنها مهينة لكرامتهن . ولما كن قادرات على الاختلاق بفطرتهن ، فانهن يلتمسن دون عناء مبررات لتقلبات المزاج التى لامبرر لها في حقيقة الأمر .

فتظاهر بأنك مصدق لها ، وحينئذ ستجد نفسك في خير حال .

آلان : أنت تعرف النساء معرفة تدعو إلى الاعجاب .

أميـــديه : الاحرى أن تقول « المرأة » ياصديقى الشاب ، المرأة هى المرأة ، على الرغم من اختلاف —

المظاهر . هناك استثناءات بالطبع ، وأملك الرائعة ، واحدة منها .

ألان : ولكن ، ستللا . . .

أميـــديه : ستللا ، كغيرها من الفتيات ، تكاد تكون امرأة بالامكان . وعليك أنت أن تكملها ، أو أن تجعلها بالفعل .

آلان : عليّ أنا ، ياسيدى ؟ أقلت : عليّ أنا ؟

أميـــديه : بلا شك : وهل جهلتُ من العاطفة التي أكنها نحوك سرا قط ، أو من الرضا الذى أشعر بـــه حين أراك تصاهر أسرتنا ؟

آلان : لم تكن قد عبرّت من قبل عن مشاعرك — ياسيدى — بمثل هذا الوضوح . . ولكن ستللا ستللا نفسها . . ألديك أسباب للتفكير في . . ؟ لأنها لم تصارحنى بشيء إطلاقا . . .

أميـــديه : أنا لم أصرح بذلك ، بل اعترفت به . في مثل سنها ، يحاول المرء أن يحيط نفسه بشيء مـــن الغموض . غير أن لدى أسبابا تحدونى إلى التفكير في أنها تنتظر منك شيئا آخر غير التنهدات ، والتحفظات ، والتلميحات الرقيقة .

(تدخل إيفيلين دون ضوضاء ، أثناء الشطر — الأخير من الاجابة)

آلان : ينبغى ألا يساورها أدنى شك . . .

أميـــديه : هذا لايكفى ، صدقنى ، ياصغيرى آلان . ستللا لاتختلف عن غيرها في شيء ، فهى في حاجة إلى أن تشعر بمن يمسكها ، ويقودها ، بيد حازمة ، مسئولة . .

آلان : اذن ، فلو كنت في مكانى ياسيدى . . .

أميـــديه : أجل ياصديقى ، كنت « أحرق سفائنى » .

إيفيلين : أما أنا ، فأعتقد على العكس من ذلك ، انك ترتكب خطأ لو اتبعت هذه النصيحة .

أميـــديه : ولكننى ، لاأعلم ياإيفيلين — أن آلان قد طلب مشورتك .

آلان : وماوجه الخطأ في ذلك ، ياسيدتى ؟

إيفيلين : ستللا ليست على مايرام في الوقت الحاضر ، وهى في حاجة إلى رعاية كبيرة ، وطلب — الزواج . . .

أميـــديه : إيفيلين !

إيفيلين : أهناك موضع آخر ؟ . . هذا الطلب قد يسبب لها انهيارا قاتلا .

أميـــديه : يالها من مبالغة ! أتعتقدين ! حقا أن ستللا — تجهل المشاعر التي يكنها آلان لها ؟

إيفيلين : ليست هذه هي المسألة .

أميـــديه : أما أنا فأرى أن التعبير بصراحة في نهاية الأمر ، سيدفع صديقنا الشاب إلى اصلاح موقف لايبدو لى خاليا من الوبال . (إيفيلين تهز كتفيها .) إن هزة الكتفين ليست ردا ياايفيلين .

آلان : ألديك من الأسباب ياسيدتى مايدفعك إلى التفكير في أن ستللا سترفض ؟

إيفيلين : لاأعتقد انها في حالة تسمح لها في هذه اللحظـــة باتخاذ قرار يلتزم به وجودها بأسره . وأعتقد أنها ستقول لا ، خوفا من الارتباط .

أميـــديه : لاينبغى أن تصدرى حكما مسبقا على ردها ، فأنت تفسدين — بخفة — أخلاق طفلة تحتاج إلى كل شجاعتها لمواجهة مثل هذا الموقف .

إيفيلين : أرى انني لاأراعى الوفاء إن أنا أخفيت عنه —

هواجسى .

آلان : ولكن ، ربما كان مالاترينه ياسيدتى . . . انى لا أستطيع احتمال هذا الشك ، فهو يحطمنى . ويخيل إلىّ في بعض الأحيان أن الرفض أفضل بالنسبة إلى من هذا التأرجح بين الأمل والقنوط..

ايفيلين : انها ستللا التى أطلب منك أن تفكر فيها الآن . فلا تضعها في موقف يدفعها إلى أن تطلب من نفسها مالا يمكنها أن تعطيه .

أميـــديه : كلما أمعنت التفكير في هذه المسألة يا إيفيلين ، بدا لى موقفك في هذه اللحظة فريدا من نوعه .

إيفيلين : إن أماً ، أو اختا كبرى . . لن يكون لها موقف آخر غير موقفى .

أميـــديه : أتوسل اليك ياإيفيلين ، لا داعى لهذا الكلام الماسخ .

آلان : سيدتى ، لماذا لا تكونين مخلصة حتّى النهاية ؟

إيفيلين : وكيف ؟

آلان : أشعر أنك تقفين ضدى . ولكن ، أعلنى ذلك بصراحة . . .

إيفيلين : لاتتعلق المسألة بما استطيع أن أتمناه أو أن أخشاه .

آلان : بلى ، ياسيدتى ، بالضبط ، فان ستللا لن تقرر شيئا دون استشارتك ، وانت تعرفين ذلك.

إيفيلين : في الظروف الحالية . . . لن أستطيع إلا اقناعها بالعدول عن رأيها .

آلان : (في مرارة) كنت اعرف ذلك . . كنت أعرف ذلك .

أميـــديه : وماذا بعد ، ياإيفيلين . . .

إيفيلين : أعتقد أننى أحلم ، أجل ، أعرف ذلك .

آلان : (في صوت متهدج) أمن الممكن أن أعرف علة هذا العداء ؟

إيفيلين : أى آلان المسكين ، إنك لاتفكر فيما تقول . لاأعتقد أنك تستطيع أن تمنح ستللا السعادة . .

أميـــديه : (رافعا ذراعيه إلى السماء) السعادة ! كلمة من تلك الكلمات الكبيرة التى لاتعنى شيئا .

إيفيـــلين : لست من رأيك ، يا أميديه .

آلان : على كل حال ، ما الذى يسمح لك ياسيدتى بتأكيد انى غير قادر على اسعادها ؟

إيفيلين : انا لا أؤكد شيئا ، ولكني أعتقد ان ستللا كائن هش في حاجة إلى المساندة والمعونة والحماية . .

آلان : اتفقنا . ومسيو شارتان قال بنفسه الآن . . .

إيفيلين : وأظن أنك أنت نفسك يا آلان ، من مصلحتك أن تتزوج فتاة أقوى ، أو على الأقل اكثر استقرارا ، أكثر . . اتزانا ، إن أردت الدقة .

آلان : إنك تحملين لنا — نحن الاثنين — كثيرا من الازدراء .

إيفيلين : أقسم لك ، بأنني لا أحمل لكما أدنى ازدراء .

آلان : ربما ، من الشفقة ؟ وهى ليست افضل على الاطلاق كلا ، كلا ، ياسيدتى ، لاتحتجى ، أؤكد لك أننى أفهم جيدا . ولكن ، ثمة شيء لاتدركينه . . فاعلمى ، أننى مثل الكثيرين من رفاقي ، أعرف أى مصير ينتظرنى ، اعرف اننى سأقتل في زمن قصير جدا . وفضلا عن ذلك ، فقد تنبؤوا لى بهذا المصير . . أوه ! لاتبتسمى . فانا لا أهرج. واعترف بأن هذه الفكرة صعبة الاحتمال حين نفتقر إلى الايمان . . صعبة.. جدا . . جدا . وهكذا تدركين ، انى إذا لم أتمكن من الحصول على

الشيء الوحيد الذى يهمنى . . فلامبرر للاستمرار في الحياة . . وفي هذه الحالة أوثر أن انتهى منها على الفور — ويكون ذلك بمثابة خلاص ، على كل حال .

إيفيلين : ياصغيرى آلان ، هذا ضرب من الابتزاز .

آلان : فليكن ذلك ، إذا شئت ، فأنا لا أخشى الألفاظ . . إطلاقا . فلو أنك صدقت أن أمى قد جعلتنى ألجأ إلى الابتزاز — هى أيضا — منذ نعومة أظفارى . . . إذن ، لبدالى هذا الأمر طبيعيا جـدا . . . . هـذا كل ما أردت أن أقوله لك.

إيفيلين : أرجو على الأقل ، ألا يكون لديك هذا الضعف . . الذى لايغتفر ، فتستخدم هذا السلاح مع ستللا .

آلان : ولم لا ؟ . . ان لم يكن لدىّ خير منه . .

إيفيلين : طيب ! ها أنت بسبيلك إلى اثبات كم كنت على صواب حين اعتقدت أن هذا الزواج سيكون نكبة كبرى .

آلان : إنها الحياة — ياسيدتى — التى تعدّ نكبة . . إلى اللقاء ، ياسيدى .

أميـــديه : لاعليك ، يا صديقى ، لاعليك . . .

آلان : (على شفا الانخراط في البكاء) ــ كلا، كلا، لا تستبقنى .

(يخرج)

المنظر الثاني

ايفيلين ــ اميديه

أميـــديه : ياله من مشهد موثر !

إيفيـــلين : (في هدوء) أما أنا ، فأراه حقيرا .

(فترة صمت)

أميـــديه : مازلت أبحث عن تفسير لجمود في الحساسية لايمت إلى الانسانية بصلة .

أيفيـــلين : افعل ما يحلو لك .

إميـــديه : أخشى أن اكون قد اكتشفته ، حقيقة .

أيفيـــلين : آه ، نعم ؟

إميـــديه : إن ذلك الحقد الذى تضمرينه لصديقى العزيزة جدا مارى ــ إستيل ، قد أسقطته الآن على

ابنها . وهذا منطقى جدا . (صمت) بل انك لاتكلفين نفسك عناء انكاره . .

إيفيـــلين : وما جدوى ذلك ؟ مادام يسعدك كل هذه السعادة. تلذذ يا أميديه الطيب ، تلذذ .

أميـــديه : ماذا تعنـــين ؟

إيفيـــلين : لذة الاعتقاد في أنني غيور ، تافهة ، وضيعة . لكل منا ملذاته . فلماذا أتجشم عناء تبديد وهمك ؟ سيكون ذلك متعبا جدا ، وصعبا جدا — ولن يكون في جملته عملا خيرا . لقد اكتشفت هناك اعتقادا صغيرا مريحا يبعث الدفء في أوصالك . .

أميـــديه : ولكن ، هل ترين من الطبيعى أن ابصر ستللا بنوع تلك الرعاية . . .

إيفيـــلين : وهنا ، أنصحك بالاحتراس .

أميـــديه : إن الكشف الرهيب الذى كنت مرغما عـــلى الافضاء به إليها . . .

إيفيـــلين : ها أنت ذا تعود إليه من جديد .

أميـــديه : . . . أن اقتل في مهده أى شك محال ومبهم قد يساورها ضدى ، وأعتقد — فضلا عن ذلك —

أنك خليقة بالسعي إلى اثارته في نفسها .

إيفيــلين : كـــلا .

أميــديه : من المؤكد أنها مستعدة اليوم لأن تحسب حسابا للتحذيرات التي قد أكون مسوقا إلى توجيهها إليهــا .

إيفيــلين : ضدى أنا ؟

أميــديه : هذا يتوقف تماما على موقفك . فلو انك لم تحاولى التأثير عليها . . .

إيفيــلين : هذا واجبي ، ولن اقصر في ادائه . أتستطيع أن تخبرنى – يا أميديه – إلى أى غاية يرمى هذا التحيز العجيب لشاب معتل الاعصاب ؟ . . أنا اعرف ، أنه ابن سيدة ممتازة ، أبدت نحوك دائما مشاعر غاية في الرقة ، ولكنك اعلنت أخيرا منذ لحظة أن ستللا في حاجة إلى يد حازمة ، مسئولة ، فهل تستطيع – بعد كل ماسمعناه لتونا – أن تعتقد لحظة واحدة في أن لهذا الفتى إرادة ، أو سيطرة على نفسه ؟ . .

أميــديه : إنها عملية استمالة ، ولن اتبعك في هذا الطريق .

إيفيــلين : لأنك توثر الراحة .

أميـــديه : إنك غريبة كل الغربة عن حياة العواطف ، ياعزيزتى إيفيلين ، إلى درجة لاتستطيعين أن تتخيلى معها القلق الذى يمكن أن تلقى فيه تلك العواطف نفسها تميل إلى الرومانتيكية نوعا ما .

إيفيـــلين : أنا لا أعرف غير شيء واحد : ان وراثة ستللا من ناحية امها . . .

أميـــديه : لاداعى لهذه الرطانة العلمية ، أتوسل إليك .

إيفيـــلين : وسواء جلبت وراءها أو لم تجلب ، خطرا حقيقيا على عقلها ، فانه من المستحيل ألا يسيطر عليها خوف السقوط يوما من الايام في ذلك المقدور ، الذى قد يكون وهميا . وفي هذه الظروف ، من واجبنا المطلق أن نحميها من كل ما يمكن أن يوهن . . لا أدرى . . من مقاومتها الباطنة .

أميـــديه : إنك تتحدثين كواحد من اولئك المهرجين الذين يسمونهم محللين نفسانيين

إيفيـــلين : أنت تراوغ ، وأنا أدرك ذلك . إنى اتحداك أن تعارضنى بحجة واحدة صحيحة .

أميـــديه : ما أبعدك عن معرفتى لو أنك لم تلاحظى بعد مقتى الشديد للجدل . إذ أفضل الاستناد على

نور داخلى معين . ولست بنادم — على الأقل حتى الآن على ما يبدو لى — لأننى استمعت إلى نصائح شيطانى المألوف ، مفضلا إياها على تحذيرات . الخبراء المختصين . إنك تملكين كل ما يحتاجه الخبير يا عزيزتى إيفيلين : الصرامة الظاهرة . والعناد ، و . . دعينى أقلها لك ، ربما أيضا نوع من العتمة الباطنة . ويبدو — على العكس من ذلك — أننى أملك هوائيات . . قد تبعث هذه الكلمة على الضحك، ممكن، ولكن الشيء الذى ..

إيفيلين : لست ارى أنك قد برهنت فيما مضى على هذه الشفافية العجيبة فى البصيرة ، يبدو إذن أنها وصلتك متأخرة . . أجل ، فان زواجك الأول . . .

أميديه : أعتقد انى طلبت منك مرة واحدة وإلى الأبد ، أن تستبعدى هذا الموضوع من أحاديثنا .

إيفيلين : آه ! هنا تخونك ذاكرتك ، يا أميديه . ففى الأيام الأولى من زواجنا . . . (تضحك) أستطيع أن أؤكد لك أنك لم تدع مناسبة لاصطحابى وراءك داخل تلك المملكة الخاصة . . بل كنت

تغريني بتوجيه الأسئلة اليك ــ ولم تتخذ هذا .
الموقف الجديد إلا لأنني لم ارحب بأسرارك كما
كنت تتمنى تماما . . أجل ، لأنك شعرت بأنني :
أقل استعدادا للعطف عليك ، من العطف على .
ضحيتك ، أجل ، وأنا مصرة على ماأقول ..
ضحيتك . . .

أميــديه : يبدو لى أن هذا يمكن أن يكفى ، ياإيفيلين . ها
هى أمى ، وما من أحد أجدر منها بالحكم بيننا

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ــ مدام شارتران

مدام شارتران : ماهذا ؟ ما هذا ؟ ماذا يحدث ؟

إيفيلين : لاشىء ذو أهمية .

أميــديه : أشك ، ياأماه ، في أنك من هذا الرأى ،
والأولى أن تحكمى بيننا .

مدام شارتران : (بادية الاهتمام) لاأحب كثيرا أن أضع أصبعى
بين (البصلة) وقشرتها* . وعلى كل حال ،
لامانع من النظر .

---

* فى الاصل بين الشجرة ولحائها او قشرتها . (المترجم) .

إيفيلين : لست على استعداد للاذعان لرأيك .

إميـــديه : تعترفين اذن بأن أمي سوف تستصوب رأيي .

أيفيلين : انى على يقين من ذلك .

مدام شارتران : إذن ؟

أميـــديه : أيدهشك أن أقول لك إن الشاب آلان دى — بوجرلان . . .

مدا م شارتران : ماذا ! انه مغرم بستللا . فعندما تكون حاضرة ، يرنو إليها في هيام .
ثم ماذا ؟

أميـــديه : لقد أبدت إيفيين منذ لحظة عنادا عجيبا في تثبيط عزيمة هذا الشاب المسكين .

مدام شارتران : يالها من فكرة عجيبة ! ماذا صنع لك ياإيفيلين ؟ هيه ؟ . . أما أنا فينبغى أن أقول إنه قد ضغط قليلا على أعصابى في بعض الأحيان بميوله — العاطفيه ، ويؤسفنى أنه قد عين في تفتيش الشئون المالية .

ولكنه ما كان ليلقى أية صعوبة في « العثور على

العجبن في في البنك » بفضل علاقات أمه . (الى أميديه .) وماذا بعد ؟

أميـــديه : (في ضحكة قصيرة يشوبها الامتعاض) إنك تتخيلين صورا مدهشة جدا ياأمي في بعـــض الأحيان .

مدام شارتران : أية صورة ؟ . . . ومجمل القول ، انه شخص لابأس به ، فهو يملك المال ، والآمال الجميلة .. ثم إنه ينبغى أخيرا — ولنتكلم بصراحـــة فيما بيننا — أن نرى الأشياء كما هى ، وليـــس المقصود أن نتشدد ونعمل على تعقيد المسائل .

إيفيلين : ماذا تقصدين ؟

مدام شارتران : لاداعى للمواربه ، فانت تفهمين جيدا أن الناس جميعا يعرفون أن امها كانت نزيلة إحـــدى المصحات العقلية . . وعليك استخلاص النتائج.

أميـــديه : إن أمى — بنظرتها الواقعية إلى الموقف ، على صواب تماما ، فيما اعتقد .

إيفيلين : لقد رضيت فعلا بتزويج ابنتك بأبخس الأثمان .

أميـــديه : عفوا : فان ابن مارى — إستيل . . .

إيفيلين : كان ذلك منذ مدة طويلة !

أميديه : تستطعين أن تلمحي ، ياأمي ، كيف تفقد إيفيلين في هذا الموقف كل ماتملكه من هدوء الأعصاب .

مدام شارتران : انى لأتساءل لماذا (تضحك) أى ضير يعود عليها في هذا كله ، آخر الأمر ؟

إيفيلين : انت لاتفهمين شعورى نحو ستللا . ولن أسمح لأحد بتحطيم وجودها .
لقد تألمنا في هذا البيت بما فيه الكفاية .

مدام شارتران : من أين أتيتِ بهذا يا إيفيلين ؟ لقد عشنا هنا دائما حياة غاية في اللطف .

إيفيلين : حين أتحدث عن العذاب ، فمن الواضح أننى لا أعنيك أنت .

أميديه : احكمى على النية .

مدام شارتران : في زمنى لم يكن العذاب الاخلاقي يا صديقتى الصغيرة يثير من الضجة أكثر مما يثيره وجع في الأسنان ، أو مغص كلوى .. وكنا حينذاك على صواب . وفضلا عن ذلك ، بما أنك لست أكثر مسيحية منى ، فأنا لا أرى ...

إيفيلين : أرجو ألا اكون عديمة الاحساس تماما .

أميديه : انك في سبيلك الى ذلك يا ايفيلين ، وهذا أمر لا أستطيع اخفاءه عليك . وذلك الحنان المفرط الذى تحملينه لابنتى لم ينشأ إلا من رغبتك للكيد الموجه ضدى ، واخشى ، أن يكون موجها ضدك أنت يا أماه .

إيفيلين : كيد ! إنك تُعيرنى مشاعرَ مصنوعةً على مقاسك انني . . .

أميديه : أهذا اعلان حرب ؟

إيفيلين : إذا أردت .

أميديه : فليكن ، فلقد أحببت دائما المواقف الواضحة .

مدام شارتران : أجل ، وأما أنا ، فأريد سكينة نفسى . واذا أخذت هذا الكلام على محمل ما ، يا إيفيلين ، فسأذهب إلى الفندق ، على نفقتك طبعا .

(تضحك)

إيفيلين : (توجه كلامها بصوت متهدج إلى آرنو الذى يدخل في هذه اللحظة) آرنو ، هل لك في أن تأتى معى إلى الحديقة ، بضع دقائق ، فلا بد أن أتحدث إليك .

آرنــو : ألم تنزل ستلا بعد ؟

أميــديه : لا أعرف .

مدام شارتران : إنها فتاة صغيرة تصغى إلى نفسها أكثر مما ينبغى .

(يخرج آرنو بصحبة إيفيلين)

المنظر الرابع

اميديه ـ مدام شارتران

(ينظر أميديه في الاتجاه الذى خرجت منه إيفيلين ، تستولى عليه رعشة لايملك المرء إلا أن يشك في تلقائيتها ، وحين لاتعيرها أمه التفاتا ، يبالغ فيها أميديه باصدار صوت مسموع ، ثم بسعال مصطنع وكأنه مريض في أشد حالات المرض)

مدام شارتران : ماذا بك ؟ أأنت مريض ؟

أميــديه : مرضا لايصيب الجسم .

مدام شارتران : اذن ، فكل شيء على مايرام. لقد أصبحت زوجتك في حالة لاتسمح بمعاشرتها ، وإنى لاتساءل : كيف سينتهى هذا كله . ؟

إميــديه : « قليل من الصبر ، وينتهى كل شيء على أسوأ حال » كما قال أحد الظرفاء .

مدان شارتران : يالها من فلسفة ساحرة ! لابد أنه كان يعانى من معدته ، ظريفك هذا .أما أنا ، فأرى أن الأشياء سوف تسير على مايرام بوجه عام ، هذا إذا لم نفقد الاتجاه إلى الشمال .

أميــديه : أمن الممكن معرفة ماتقصدينه بهذا القول ،ياأماه؟

مدام شارتران : هــذا أمر غاية في البساطة . أعنى القدرة على الاستمتاع . فأنا شخصيا لا استيقظ من نومى دون أن أقول لنفسى أولا : يا صغيرتى أميلى ، ماذا تستطيعين أن تفعلى اليوم لامتاع نفسك ؟ ودائما أجد ما يجلب السرور إلى نفسى . وفي اليوم الذى لا أجد فيه بغيتى ، لا يبقى أمامى إلا اللحاق بأجدادى بأسرع السبل . . هيه ، هيه . .

أميــديه : ولكن ، ألا تعتقدين مع ذلك أن التفكير في الآخرين . . . . ؟

مدام شارتران : خطير . فنحن لانستطيع بكل تأكيد أن نمتنع عن التفكير في الآخرين .ولكن ينبغي ألا نسعى إلى اسعادهم على الرغم منهم ، كما لاينبغي — على الأخص — أن نضع انفسنا في مكانهم ، فليس هذا ممكنا ولا طبيعيا . إنني أومن — في الحياة — بالمقاعد ذات الأرقام . إليك إيفيلين مثلا مثلا ، إنها لم تفهم بعد هذا ، وذلك ما يجعلها غير محتملة . فاذا عرفنا — بالاضافة إلى ذلك ، أنها كانت تريد أن تكون مشرفة اجتماعية . . أدركنا أنه حب التدخل ، ولاشيء سواه .

أميــديه : لو أخذت بآرائك ، يا أمي ، لما بقي لى — على ما اعتقد ، الا أن احزم متاعى . فأنا لا أعرف ان « المتعة » تحتل مكانا — ايا كان نوعه — في وجودى . . . الخراب .

مدام شارتران : تاتاتا ، ليس خربا إلى هذا الحد .

أميــديه : إننى وحيد جدا ، يا أماه .

مدام شارتران : أنت ؟ إنك تصحب معك دائما معرضا صغيرا للتحف . وأنت لاتحيا إلا من أجل هذا المعرض،

أوه ! إنني مطمئنة تماما ، لأنك ستحتفظ به حتى لايكون ثمة ظمأ . لاينبغي أن تحسبني بلهاء .

أميـــديه : (بعد هنيهة) إنني أشدّ وحدة عما كنت اعتقد يا اماه .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ـ ستللا

(تبدو شديدة الشحوب ، وملامح وجهها مشدودة كشخص لم يذق طعما للنوم)

أميـــديه : (في رعايـــة مسرحية) هـــل استطعت أن « تستريحى » قليلا ؟ (تهز ستللا رأسها بحركة تدلّ على النفى) إنني اتساءل ، أمن الممكن أن أعطيك منوما خفيفا هذا المساء .

مدام شارتران : أوه ! كل هذه العقاقير تعمل على تسميمك . ما عليها إلا أن تتمشى قليلا بعد العشاء : فهذه وصفة لايعلو عليها شيء .

أميـــديه : (في لهجة موثرة) الطفلة المسكينة لاتستطيع الوقوف على ساقيها .

مدام شارتران : كم تستطيعون مضايقتى جميعا ، بهذا الحال الذى أنتم عليه !

(تخرج)

المنظر السادس

ستللا — اميديه

(ستللا غائصة في مقعد وثير ، تنظر أمامها في الفــراغ)

أميــديه : أقرر ، ياصغيرتى المسكينة — أوه ! دون دهشة — أنك لم تملكى بعد زمام نفسك ، لماذا لم يسمح لى بأن أجنبك هذا كله ؟ . . .

ســتللا : اسمع يا أبى ، أريد أن أطلب منك شيئا . . أنا أدرك أن هذا لايبدو لطيفا . . ولكنك تتخذ طريقة للتعبير عن نفسك . . . في هذه اللحظة لا أستطيع . لو شئت أن تبذل مجهودا للحديث ببساطة تامة . . . أنا شقية غاية الشقاء . . ضائعة أشد الضياع ، أتفهمنى . . . ؟

أميــديه : (في رفق) أجل يا ابنتى ، انك مرهقة جدا . .

سأرغم نفسي على ذلك ، وإن كنت لم أفهم جيدا . . .

ستللا : شكرا (صمت) الخطاب الذى تحدثت عنه الآنسة فرو ، أأنت على ثقة تماما ؟ . . . وعلى كل حال ، لم تعد لدى الشجاعة على قراءته . . وإن كنت أشعر بالحاجة إلى أن . . اتمثله . .

أميذيه : لاينبغى أن تفكرى في هذا الأمر .

ستللا : لماذا ؟

أميديه : لقد عاشت أمك في عالم غريب كل الغرابة عن عالمنا . . عالم لاسبيل إلى التفكير فيه .

ستللا : منذ البداية ؟ . . . عندما تزوجتها ، ومع ذلك. . .

أميديه : أى ابنتى . كنت أوثر أن أراك تواجهين المستقبل مستقبلك أما ذلك الماضى المظلم الذى لا تستطيعين اقتحامه فلا يمكن إلا أن يقذف على وجهك بأبخرة . . . ماذا أقول . . . أبخرة قاتلة

ستللا : تذكر ، ياأبى ، ماوعدتنى به .

أميديه : (بلهجة حادة) لااستطيع ان اعبر عن نفسى — على كل حال — بلغة البرابرة ، ياستللا .

ستللا : أنت تطلب منى أن التفت إلى المستقبل ، ولكن يبدو لى أننى بلا مستقبل .

وليس أمامى سوى جدار ، هو بالضبط . . . الماضى .

أميديه : ذلك الماضى لاينتسب اليك .

ستللا : ولكننى أنا التى انتسب إليه ، حتى عطلاتنا الصيفية في الانجادين . . .

أميديه : وماذا بعد ؟

ستللا : حتى التقينا بإيفيلين . . كانت أمى ممتزجة بكل افكارى . . بل لقد أهديتها . . هذه الافكار . وحتى بعد ذلك ، كانتا اثنتين ، وهذا كل ما في الامر . . أو بالأحرى . . . إيفيلين ، كنت واثقة أن أمى هى التى أرسلتها إلىّ . واعتقدت أن ثمة شيء يحرسنى . . وظننت أننى لا أستطيع العيش إن لم أشعر بأن هناك من يرعانى . لاأقصد الله ، فأنا لست مثل آرنو ، وإنما شخص حقيقى . . . ولهذا قلما كنتُ أضع أىأسئلة . . أخاف . . لست أدرى من أى شيء بالضبط ، ولكننى كنت خائفة . وفي هذه الأيام الأخيرة كبر

ذلك الخوف ، حتى كان ذلك اليوم . . والآن ، يبدو لى أننى كنت ضحية خيانة شنيعة . وربما كان أشنع مافيها ، أن أحدا لم يقترفها . . كلا ، فمن المفروض ألا أتهم أحدا . أليس كذلك ؟ . . كل مافي الامر ، أشعر كأننى انزلق ، فاحاول أن اتمسك ، فلا استطيع ، إذ لاأجد سندا أتكئ عليه . (صمت) لماذالاتجيب بشيء ؟

أميديه : ياابنتى ، أنت وأنا ، شخصان منكوبان ، كنت أقول ذلك منذ لحظة لجدتك المسكينة التى بلغت من العمر عتيا بحيث لاتستطيع ادراك معنى ذلك القول . . . ستللا ، نحن متشابهان بصورة عجيبة .

ستللا : حقا ؟ ماكنت لاعتقد ذلك . فإيفيلين تقول إنك تشبه جدتى .

أميديه : ياله من ضلال ! أنت وأنا — ياستللا ، من أولئك الأشخاص النادرين جدا ، الذين كتب عليهم العذاب لأنهم لايحيون الابقلوبهم . . أجل ياابنتى ، إننى أفضى إليك في هذه اللحظةبأعمق أعماق نفسى . بالقلب وحده .

ستللا : كنت أعتقد أن العقل والثقافة ، بالنسبة إليك. . .

أميديه : لايزيد هذا كله عن أن يكون قشا أو أوراقا يابنة .. القلب ، ياستللا ، القلب ! . . (يضغط على نطقه لكلمة قلب) .

ستللا : لابد أنك تألمت كثيرا (لايرد عليها أميديه إلا بتنهيدة عميقة ، تأخذ في الخفوت شيئا فشيئاً) وهي أيضا ؟

أميديه لقد كانت تنتمي إلى نوع آخر لانشترك معه في شيء.

ستللا : ومتى . . .أدركت ذلك ؟

أميديه : عندما تزوجتها . كنت أحيا بلا اوهام ياستللا . وكنت احتفظ دائما بتلك الميزة الحزينة وهي أن اتنبأ بالأمر دون أن احاول منعه .

ستللا : ولماذا لم تحاول ؟

أميديه : إنه حب المصير Amor forti . أتدرين ما تعنيه هذه العبارة ؟

ستللا : كلا .

أميديه : واأسفاه . ثمة جهل يعد من قبيل التهاون ، من من رثاثة الهيئة .

ستللا : يوسفنى . . .

أميديه : لاعليك . . . ياصغيرتى ستللا ، أحب أن أعقد معك نوعا من التحالف .

ستللا : ولم لا ؟ ضد من ؟

أميديه : ضد لاأحد . . . أو بالاحرى : ضد ذلك الإله الذى لاوجه له ، والذى لانستطيع حتى اتهامه ، وما هؤلاء الناس حولنا إلا دمى له . . وما أكثر المهرجين !

ستللا : لست أدرى عمن تتحدث .

أميديه : بل أولى بك أن تفكرى في أولئك الذين قدر عليهم الارتباط بنا . وأفكر بوجه خاص في صديقتنا العزيزة جدا مدام دى بوبجرلان التى تستطيعين أن تجدى عندها في تلك الظروف صدرا حنونا .

ستللا : أوه ! يا أبتاه ! . . .

أميديه : وأفكر أيضا في شخص قريب منها أشد القرب . أهناك حاجة إلى ذكر اسمه ؟

ستللا : لاجدوى من هذا كله .. اخبرنى : هل يعرفون ذلك الأمر الرهيب ؟

أميديه : سبق لى أن اطلعت مارى – إستيل بنفسى على كل شيء .

ستللا : ماكان ينبغي لك .

أميديه : في بعض الساعات السوداء ، كانت ملاذى الوحيد . فهل قررت أنه من الافضل الإفضاء إلى آلان بهذا السر؟ جائز! والحق أنني لم اتقص هذه المسألة ، فبينهما علاقة حميمة بدت لى دائما في غاية من الروعة .

ستللا : إذن ، فهو محيط بكل شيء ؟ . .

أميديه : يكاد يكون ذلك مؤكدا ... (تخفى ستللا رأسها بين راحتيها) . ولكن هل أفسدت – معرفته بهذا السر مشاعره نحوك ؟

ستللا : وما العلاقة ؟

أميديه : ينبغي ألا أخفى عليك ، فان كثيرا من الشبان قد يعرضون في شيء من الذعر عن انسانة . . .

ستللا : آه . . . ولماذا ؟

أميـــديه : ستللا ، لعلك لاتشكين في ذلك ؟

ســـتللا : اذا شئت أن تحدد جيدا .

أميـــديه : أوثر اعفاء نفسي من ذلك .

ســـتللا : ألأن أبناء . . . المرأة المجنونة يكونون مهددين بذهاب عقولهم ؟

أميـــديه : ثمة فكرة مسبقة — في هذا المجال — على الأقل راسخة جدا ، وثابتة الأصل جدا . فالحقيقة أن آلان الشهم يدافع في عزم صادق عن حبه . أجل ، ياستللا ، هذه كلمة ينبغي أنتستمعي إليها دون أن ترتعد فرائصك .

ســـتللا : لقد قلت إنها فكرة مسبقة : فلماذا ؟

أميـــديه : لايمكن أن يتعلق الأمر بشيء آخر .

ســـتللا : أأنت على يقين من ذلك ؟

أميـــديه : من أشد الخطر أن يشك المرء في ذلك . والاعتقاد في مثل هذا الخطر يزيده استفحالا .

ســـتللا : وهل هو موجود ؟

أميـــديه : فلنحاذر من ذلك الإله الذى لا وجه له .

ستللا : (في تقزز) آه ! .. النوم .. ليتني استطيع النوم .

أميديه : سأحمل إلى حجرتك هذا المساء قرصا منوما ، عملا بنصيحة جدتك الطيبة .

ستللا : (بانفعال) أتحبني قليلا يا ابى ؟ أخبرني بالحقيقة ، أنا لا أطالبك بعبارة من تلك . . فحينما تقول عبارات معينة ، فكأنما ثمة شيء لاأدرى ماهو . . شيء لاسبيل إلى قهره ، يكذب تلك العبارات كلما مضيت في الحديث . . « ليس هذا حقا . . ليس هذا حقا ، ليس هذا حقا » ، وكأنها حركة البندول .ربما لم تكن هذه غلطتك . . أجل ، ربما كان ذلك . . ضربا من الضعف .

ولكن ، أتشعر به ؟ إني أخاف أشد الخوف من أن أكون ظالمة . . سيكون الأمر شنيعا جدا إذا أنا أسأت فهمك لمجرد أن . . . (يضع أميديه يده في كف ستللا . فترة صمت) شكرا ياأبى شكرا على سكوتك . أجل ، إننى أشعر بأنك كنت على صواب : نحن متحالفان ، ولكن ضد أى شئ ؟ ضد أى شئ ؟ استمر في سكوتك ، فلا

تجيب عليّ . . (بصوت خافت) لعلنى —.
أصغى إلى . . . روحك . . للمرة الاولى . .
لاتقل شيئا ، لاتقل شيئا ، سأغمض عينىّ .
(تتمدد على الأريكة وقد أدارت وجهها نحو الحائط)

أميـــديه : أيتها الساحرة . . الصغيرة ! (انتفاضة مـــن ستللا تكشف عن الانطباع الأليم الذى تبعثه فيها هذه اللهجة الزائفة . يبتعد أميديه على أطراف قدميه ، يفتح الباب دون جلبة ، يظل الباب مواربا لحظة واحدة ، نستمع بعدها إلى صوت آخر .) شكرا . (يعود إلى ستللا ، ممسكا بخطاب في يده .) هذه رسالة أحضروها من توّهم إليك . من آلان دى بويجرلان .

(في حرص مفرط) سأضعها هنا . . على هذه المنضدة الصغيرة . . فاقرئيها عندما تشعريـــن بالراحة .

(يخرج)

المنظر السابع

ستللا ـ ثم آرنو

(تبقى ستللا في بادئ الأمر بلا حراك ، ثم يبدو عليها أنها تريد التقلب على الأريكة لكي تستعيد وضعها الأول ، نشعر بأنها فريسة لقلق شديد ، إذ تتململ في جلستها .

وأخيرا تنهض بحركة مفاجئة ، وتتناول الخطاب ثم تفضه بحركة تشنجية ، وتجلس لكي تقرأه ، تهز رأسها أثناء القراءة . تضع الخطاب إلى جانبها بعد أن فرغت من قراءته ، ثم تستغرق في أفكارها ، وقد وضعت رأسها بين راحتيها ، يدخل آرنو في هذه اللحظة ، ثم يتوقف مأخوذا) .

ستللا : (وقد لاحظته) آه ! لقد أفزعتني . . .

آرنو : (في حنان) كيف تشعرين الآن ، ياستيل مازلت شديدة الشحوب .

ستللا : أين إيفيلين ؟

آرنــو : لقد تركتها منذ لحظــة .

ســتللا : أعرف ذلك ، فلقد رأيتكما من حجرتى — معا في الحديقة . وكانت تتحدث في انفعــال ظاهر . . ماذا كانت تقول لك بكل هذه الحدة؟ أما أنت ، فكنت تبدو مرتبكا ، حائرا ، — مترددا .

آرنــو : (في سرور) اذن ، فقد لبثت في النافذة — تراقبيننا ؟

ســتللا : كنت مندهشة . . . (جرس التلفون)

آرنــو : سأرد انا . (يرفع السماعة) آلو ! أهذه أنت ياماجى ؟ كلا ، إيفيلين ليست هنا ، ولكننى اعتقد تمام الاعتقاد أنها في طريقها إلى رؤيتك ... عفوا . . إلى اللقاء ياماجى .

(يضع السماعة)

ســتللا : ألا تعتقد أنها تتقرب من ماجى لمجرد مضايقــة أبينــا ؟

آرنــو : إن ماجى هى التى جاءت إلى أورشان ، وسأجعلك تلاحظين . . .

ستللا : أيا كان الأمر ، فأنت أيضا منحاز إلى صفها ...

آرنو : كيف ؟

ستللا : لقد قلت إنك ترى ماجى فاتنة .

آرنو : وماذا في ذلك ؟

ستللا : إن لها عينين على ناحيتى رأسها ، وفما أشبه بفم السمكة . . . ولكننى أعلم جيدا أنك لم تنظر إلى امرأة قط في حياتك ولا حتى إلى إيفيلين .

آرنو : سيان .

ستللا : والدليل على ذلك : مالون شعرها ؟

آرنو : أقرب إلى البنى ، على ماأظن .

ستللا : إطلاقا . . بل مائل إلى الحمرة . إن شعر إيفيلين مائل إلى الحمرة .

آرنو : إذا كان ذلك يرضيك . . .

(صمت . يتفحص ستللا)

ستللا : أنت طائش يا آرنو ، ولطيف إلى أقصى حد . وعندما كنا أطفالا ، كنتَ تغضب أحيانا ، وهذا لم يعد يحدث لك الآن اطلاقا . لعله نوع من الشيخوخة .

آرنـــو : (مبتسما) استمرى. (مشيرا إلى الخطاب) أهذه الرسالة هى التى وضعتك فى تلك الحالة.. البركانية الثائرة التى أراك عليها؟

ستــللا : بل إنها تسبب لى سرورا عظيما. فلقد أصبحنا مخطوبين رسميا، ابتداء من هذه اللحظة. أنا فى غاية السعادة.

آرنـــو : غير أن عينيك مليئتان بالدموع.

ستــللا : ما معنى الدموع؟ من الممكن أن يبكى الانسان فرحا.

آرنـــو : طبعا.

ستــللا : ماذا تأخذ عليه؟ (تعبير استفهامى على وجه آرنو) أقصد، على آلان.

آرنـــو : لا شىء بكل تأكيد.. إننى أحبه كثيرا.

ستــللا : أنت تحب الناس جميعا، وهى طريقة مسيحية للقول بأنك لا تعبأ بهؤلاء ولا بهؤلاء.

آرنـــو : (فى سخرية محببة) بلى. فأنا لا أعبأ بك مثلا.

ستــللا : تعتقد أنك تمزح، ولكننى أعرف جيداً أن هذه هــى الحقيقة. فلو وضعت فكرة فى رأسك،

واستلقيت أنا في عرض الطريق ، لعبرت من فوقي ــ أوه ؟ وأنت تباركني .

آرنــو : (في قلق) أية فكرة ؟

ستللا : أية فكرة كانت . مشروع زواج مثلا .

آرنــو : ها هو الاطمئنان يعاودني .

ستللا : ألن تتزوج ؟

آرنــو : جائز .

ستللا : ولماذا ؟ إنه شيء سخيف .

آرنــو : من الأفضل أن نتحدث عن آلان . هل ترويت في الأمر ؟

ستللا : ثمة فرص كثيرة . وأنت تعرف أن الوقت طويل أمامي . فلن يأخذني على حين غرة .

آرنــو : كلا . . . ولكنني في دهشة إلى حد ما .

ستللا : ولماذا . ؟

آرنــو : منذ بضعة أيام ، كان يخيل إليّ أنه يرهقك .

ستللا : لسنا في حاجة إلى البحث عن شخص مُسَـــلٍ لنتزوجه .

آرنـــو : كنت تقولين لى : إنه رخو ، وانــه يفتقر إلى الحيوية ، وإلى الرجولة .

ســـتللا : أعتقد اعتقادا جادا انه سيكون شقيا لو رفضت.

آرنـــو : أهذا سبب كاف يدفعك إلى القبول ؟

(صمت)

ســـتللا : أهى إيفيلين التى وضعت في رأسك هذهالأفكار؟

آرنـــو : وكيف ؟

ســـتللا : الان ، في الحديقة . . .

آرنـــو : اعترفي بانك تغيرت فجأة يا ستيل .

ســـتللا : ممكن .

آرنـــو : ولماذا ؟

ســـتللا : أتـرىَ أنه لم يحدث شيء . . يدعو إلى الدهشة منذ يومين ؟

آرنـــو : لا أرى معقد الصلة .

ســـتللا : ومع ذلك ، كنت تعلم . أليس كذلك ؟

آرنـــو : (بعد تردد) أجل .

ســـتللا : من ذا الذى أنبــأك ؟

آرنـــو : أفضى إلىّ أبى ببضع كلمات . . . منذ أمد ليس بعيدا .

ســـتللا : أما أنا ، فقد تركونى أتخبط في جهلى . لماذا ؟ وعند ما كنت أسألك ، كنت تتظاهر بأنـــك لاتعرف شيئا أكثر منى . . آه ! كم كذبت على ياآرنو ! وهذا الخطاب الذى تحدثت عنه العجوز المأفونة . . من أدرانى بأنك لم تتسلّمه ، وبأنك قرأته ، ومزقته ؟

آرنـــو : أقسم لك بأن شيئا من هذا لم يحدث . ولكى أريح ضميرى ، اعترف بأننى اتصلت تلفونيا بموثق العقود ، فعلمت أن هذا الخطاب لم يوجد على الاطلاق .

ســـتللا : ليس لدى أى باعث يدفعنى إلى تصديقك . إن دينك يحبذ الكذب على سبيل الاحسان . الاحسان ! يالها من كلمة فظيعة ! مهينة . مهينة .

لماذا كتموا عنى كل شيء ؟ مم كانوا يخافون ؟ أليست لى نفس الحقوق ؟ أهو المشرف على ضميرك الذى اوصاك بذلك ؟ أم إيفيلين . . أى دور تلعبه إيفيلين في هذا كله ؟

آرنـــو : ليس من حقك الارتياب فيها .. إنها تحبك من كل قلبها .

ستـــللا : وهاهى قد قدمت لك الدليل على هذا ، أليس كذلك ؟ هذا هو الموضوع تماما .. إنهم يعاملونى .. كما لو كنت مجنونة فعلا ..

آرنـــو : (مذعورا) – ستللا !

ستـــللا : إنك تنظر إلىّ ، أنت وراء القضبان .. كيف لاتدركون انكم تدفعون بى إلى الجنون ؟

آرنـــو : (في قلق متزايد) لاأريد أن تحبسى نفسك في هذه الفكرة .. إنها تحطمك ياصغيرتى ستيل .

ستـــللا : وماذا أنت فاعل لانتزاعها من نفسى ؟

آرنـــو : ليتك توافقين علـــى الحضور أحيانا .. إلى القداس ....

ستـــللا : هذا بالضبط مالا ينبغى أن يقال .. دواء – وقاية . هذا ماتعرضه علىّ ... أما الآن ، فيحبنى ، باختصار إنه يمد إلىّ ذراعيه ، دون أن ينتابه الخوف . إن كان هناك من يستطيع انقاذى ، فلا بد أن يكون هو .. إنى أناديه .. وتستطيع أن تسمع ما سأقوله له .

آرنـــو : كلا ، كلا . . .

ســتالا : لن تحول بيني وبين . . . (ترفع سماعة التلفون) الخامس عشر ، من فضلك .

آرنـــو : ستللا ، أصغى إلى .

ســتللا : (في التلفون) أهذه أنت ياسيلتى ؟ أيستطيع الآن أن يأتى إلى التلفون ؟ .

خرج ؟ أوه ! . . ولكن حين يعود ، فليتكرم بطلبي ، هناك مانع ؟ أجل ، لدى رسالـــة عاجلة ينبغى أن انقلها اليه . هل أنت بخير ؟ . . (بصوت مرتجف) سآتى لأقبلك في آخر النهار .

(تضع السماعة)

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ــ ايفيلين

إيفيـــاين : إلى من كنت تتحدثين بالتلفون ؟

ســتللا : (في جفاء) حسبتك عند ماجى .

إيفيـــلين : كلا .

ســتللا : انه آرنو الذى أنبأنى بذلك . لقد اتصلت بالتلفون وهى في انتظارك .

إيفيلين : هل أعاد آرنو على مسامعك الحديث الذى دار بيننا ؟

ستللا : لاشيء من ذلك .

آرنو : (إلى إيفيلين) لقد تلقت ستللا في التو رسالة من الآن . .

ستللا : تستطيع أن تقول انه طلب للزواج . وقد قبلته .

(صمت)

إيفيلين : (في صوت خافت ، متألم) ماذا صنعت لك ؟

ستللا : كيف ؟ أنا لا أفهم سؤالك ؟

إيفيلين : اللهجة التى ترفضين بها — ياعزيزتى . الاجابة على : :

ستللا : إننى مرهقة أشد الارهاق ، وانت تعرفين تماما أننى لم أذق للنوم طعما .

إيفيلين : آرنو ، ألا تستطيع أن تشرح لى ؟

ستللا : لن يكون ذلك في حضورى .

إيفيلين : آه ! تعرف أن . . .

ستللا : سيتضح كل شيء ابتداء من هذا المساء. (بغتة) أأستطيع أن أعرف لماذا لقنت آرنو ذلك الدرس؟

آرنـــو : أنت مستحيلة .

ســـتللا : ولم هذه المراوغة ؟

إيفيـــلين : منذ يومين ، وأنت تتهربين منى .

ســـتللا : كنتُ في فراشي .

إيفيـــلين : كأن شيئا قد انقطع بيننـــا ، دون أى سبب . انكسر . ذلك القرار المخبول ، أجل ، إنى متمسكة بهذه الكلمة . . المخبول ، الذى اتخذته ضدى . ولو أننى أيدتك ، لعدلتِ عنه .

آرنـــو : أعتقد أنك مخطئة يا إيفيلين . فمنذ أن علِمَتْ ســـتللا ، تتخيل أن وجودها ينطوى على خطر يهددها ، قدر محتـــوم عليها ، وأنت تفهمين ما أعنى . وتعتقد أنها أُبعدت فعلا عن الاتصال بالبشر . . منبوذة . . وها هو الآن يعرض عليها ملاذا ضد هذا الارتياب في الآخرين . . ضـــد ما يساورها من قلق . . . ولهذا فانها تندفع نحوه .

ســـتللا : كـــفى .

إيفيـــلين : لقد خمنتُ هذا . . ولكن ، هذه هى الفكرة التى ينبغى بالضبط القضاء عليها . . انصتى إلى . . حبيبى .

كثيرا ما راقبتُك وأنت مع آلان : رأيت أنـه يبعث الملل إلى نفسك ، ويسبب لك الارهاق ، وسيفعل ذلك بك دائما . إنى على يقين من ذلك وهذا ما أعرفه . إنه واحد من أولئك المخلوقات الذين يقضون حياتهم في التحسر على نفسه وفي استدرار عطف الآخرين . وهذا الأمان الذى تطلبينه منه ، لن يعطيك إياه . بل على العكس ، انه لا يملك إلا أن يُسْلِمَكِ إلى تلك القـوى المجهولة الموجودة فيك ، مثلما توجد في كل واحد منا . . مثلما توجد في كل واحد منا ، دون أى اختلاف . وفي سعيك إلى الهرب منها ، تتخلين عن نفسك . .

ستللا : الأمر أشد تعقيدا بالنسبة لى .

إيفيلين : إنك تبعثين اليأس إلى نفسى . .

ستللا : ولكن ، لم كل هذا الاصرار ، في نهايـة الأمر ؟ . . ولماذا لاتدركين انك تقاتلين ضد أبى في هذه اللحظة ؟ فكرة واحدة تسيطر عليك ، هى إيذاؤه ، وجوحه وتحطيمه . . . لم أعرف انسانا قط ، اقل من ذلك كرما .

آرنـو : ستللا ! (صمت)

إيفيلين : أقسم لك انك لمخطئة . . . فانا لاأظن — أولا — أنه متمسك بهذا الموضوع التمسك الذى تحسبينه . فلديه مشاغل أخرى (حركات من ستللا) كلا . اعرف أنك الآن في اللحظة الحاسمة من حياتك ، هذا كل مافي الأمر . . .

ستللا : هذا غير صحيح . فالزواج التعس ، يمكن أن تنفصم عراه . ولى صديقتان طلّقتا بعد ستة أشهر من زواجهما .

إيفيلين : أعرفهما ، إنهما امرأتان ضالتان . غير أنك تقولين أى كلام ياحبيبتى . . . أتتخيلين — مصادفة — أن آلان يمكن أن يدعك ترحلين ؟ إنه سوف يتشبث بك ، ولن يتراجع أمام أى ابتزاز . . وسيكون هذا هو الجحيم بعينه . ستللا ، لقد وقعَتْ هنا ، ومنذ زمن بعيد ، أحداث مريعة ، ولا أريد أن يبدأ كل هذا من جديد .

لن أسمح به .

ستللا : وما حقوقك ؟

إيفيلين : للحنان كل الحقوق .

ستلا : الحنان ! انت امرأة قاسية ، ياإيفيلين ، وقد لاحظت ذلك منذ زمن طويل .

إيفيلين : ان التفكير في سعادتك لم يفارقنى قط . انا لا أومن إلا بالسعادة ياستلا وأرتاب في اولئك الذين ينكرونها فهذا مريع للغاية ، ويبيح كل شيء .

ستلا : (إلى آرنو) إنها تقصده هو أيضا بكلامها في هذه اللحظة .

إيفيلين : ستلا ، لقد أخذت منذ يومين ترددين أن أباك ضحية ، وجعلت تتغذين على ذلك الاعتقاد ، ولهذا تنظرين إلىّ بهاتين العينين القاسيتين . وبعد ، ليس ذلك صحيحا .

ستلا : انى امنعك من اتهامه . آرنو ، تقدم لنجدتى !

آرنو : هذا كله فظيع ، ياإيفيلين ، كيف لا تردين إنك وأنت تحاولين معاونتها . . .

إيفيلين : أنت لاتريد أن تفهم أن هناك غلطة تُضنيها ؛

ستلا : كلا .

إيفيلين : غلطة تسممها . . . وسوف تقضى عليها . أقسم لك أن هذه اللعنة لم تحل بك

ستللا : ماذا تعنين ؟

إيفيلين : إن أمك لم تكن ما تعتقدين . لم تكن مريضة...

ستللا : كانت مجرمة إذن ؟

إيفيلين : ولا هذا .

ستللا : لقد أرادت قتله .

إيفيلين : لقد أرادت أن تعيش . . بكل بساطة .

(تطلق ستللا صرخة وتهوى غائبة عن وعيها بين ذراعى آرنو)

ستار

الفصل الثالث

نفس الديكور ـ الساعة الثامنة والنصف مساء

المنظر الاول

آرنو ـ مدام شارتران في ثياب السفر

مدام شارتران : أكانت خالتك ماتيلده هى التى ردت بنفسها على التلفون ؟

آرنو : أجل ، ياجدتى .

مدام شارتران : ولكن أأنت متأكد من أنها سمعتك جيدا ؟ إن سمعها قد ضعف كثيرا ، وإن كانت لاتريد أن تعترف بذلك . هل بدت عليها الدهشة ؟

آرنو : لابصفة خاصة .

مدام شارتران : إذن ، فهى لم تفهم ماقلته لها . لابد من تذكيرها فها أنت ترى أننى سأحل على بيتها في الساعة الحادية عشرة مساء دون أن يكون هناك أى استعداد لاستقبالى ! سيكون أمرا لطيفا .

آرنـــو : القلق يستولى عليك دون جدوى ، ياجدتى . أنا على يقين تماما من انها تنتظرك .

مدام شارتران : أنت على يقين ، أنت على يقين ! ماذا قالت بالضبط ؟

آرنـــو : لا أتذكر الكلمات طبق الأصل .

مدام شارتران : (ثائرة) ياصديقى الطيب ، سأبقيك — أنت — معى . ان لك طريقة غريبة في أداء المهام . . . (لا يتأثر آرنو بما تقول) إنك تجعلنى أغلى !

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ـ أميديه

أميـــديه : حسن ، أراك وقد امتشقت أسلحتك ، يا أماه .

مدام شارتران : لم تفهم ماتيلد شيئا . وسأجدها نائمة ، والخادم أيضا . لن أجد مفرا من قضاء الليلة في الفندق .

أميـــديه : طبعا لا يا والدتى ، طبعا لا ، إنك تعذبين نفسك بلا مبرر ، هذا شيء أنا مقتنع به . سوف تستقبلك خالتى ماتيلد بذراعين مفتوحتين .

مدام شارتران : (تضحك مستهزئة) بمرض التهاب أعصابها . .

والقول بأنه ينبغى تحمل شكاياتها من الصباح إلى المساء . . سيكون غريبا . .

أميديه : الجميع هنا يأسفون لما عقدت عليه عزمك من تركنا . . أتوسل إليك يا أمى أن تعيدى النظر في قرارك .

مدام شارتران : لست ألعوبة .

أميديه : ومع ذلك . اعترف بأن تغيير الهواء قد يفيدك . والواقع أننى لست راضيا تمام الرضا عن صحتك.

مدام شارتران : ولهذا السبب تبعث بى إلى شارع ميرمونسيل ؟

أميديه : ليس من شك أن الأميرة « تيكى » — بالاضافة إلى ذلك — ستدعوك إلى فياريجيو كما فعلت في العام الماضى .

مدام شارتران : أشكرك . . إنها مدللة . . بلهاء . . ما حكايةهذه السيارة التى لم تصل بعد !

أميديه : لن تتأخر . (إلى آرنو) هل اتصلت تلفونيا بلاندرى ؟

مدام شارتران : أوه ! إن المرء لا يفهم ما يقول ، مع ذلكالهوس الذى أصابه بتمتمة الصلوات ، فَقَدَ عادة الكلام

في وضوح وتميز . وإذا فاتني القطار ، تكون المأساة قد تَمّت فصولا .

أميـــديه : في هذه الحالة تعودين للمبيت هنا ، يا أماه . . ولن تكون هذه مصيبة كبيرة .

مدام شارتران : أبدا . أنا لست ممن يُلْعَبُ بهم كالأتان (فترة صمت) ألن تتكرم ستللا بتوديعى ؟

آرنـــو : أظن ، أنها نائمة يا جدتى .

مدام شارتران : مضطربة تماما . . سينتهى هذا كله أسوأ ختام .

آرنـــو : أسمع صوت السيارة . أتحبين أن أرافقك إلى المحطة ؟

مدام شارتران : مطلقا . . .

أميـــديه : إنه أنا الذى سيضع جدتك في القطار . تعالى ياأمى الحقيبة على السلم . إنى في دهشة من أن إيفيلين لم تأت لتوديعك ، يا أمّاه .

مدام شارتران : أنت مندهش ؟ أما أنا ، فلا ، ثم إننا قد التقينـــا على العشاء ، وهذا أكثر من الكفاية .

(تخرج ، يتبعها أميديه وآرنو ، نسمع صوت رحيل السيارة ، يعود آرنو إلى الحجرة ، ويتناول كتابا ، ثم يجلس . تدخل إيفيلين في هدوء) .

المنظر الثالث

آرنو – ايفيلين

إيفيـــلين : هل رحلا ؟

آرنـــو : أجل ، حالا . يخيل إلىّ أنك سمعتهما. (صمت)

إيفيـــلين : (بصوت مرتجف) أأنت حانق على ياآرنو ؟ (حركة تملص من آرنو) وأخيرا أتلومنى ؟

آرنـــو : أعتقد أنه بالنيات الطيبة . . .

إيفيـــلين : هل أسأت اليها ؟

آرنـــو : أخشى ذلك .

إيفيـــلين : (محتدة) ومع ذلك ، لم يكن من حتّى أن أدعها ترتكب حماقة .

آرنـــو : حماقة ؟ ماذا نعرف ؟

إيفيـــلين : أنت لم تفهم إذن انها لا تريـــد الزواج من ذلك الفتى الذى يبعث فيها الملل ، والذى ستمقته في الغـــد – إلا على سبيل اليأس والفرار من نفسها فحسب .

آرنـــو : كم أنت على يقين . . . من كل شيء !

إيفيـــلين : أى آرنو المسكين ، إنكلاتريد التسليم بأنالخبرة شيء صلب جدا ، بل إنها الشيء الوحيد الصلب .

آرنـــو : أنت على صواب ، فانا أرفض التسليم بذلك

إيفيـــلين : أظن ، انها على عكس ما تسميه بالايمان .

آرنـــو : بل إنى أسميه بالأحرى الأصل ، ولكن ، أهمية لذلك .

إيفيـــلين : وبالنسبة للآخرين ، ليس من حق المرء — في كل الحالات — أن يتساهل
أعنى في الخبرة .

آرنـــو : الآن ، فهمت جيـــدا . ولكن ، يبدو لى . . لأأدرى كيف أعبر عن نفسى . . يبدو لى أنك تحسبين نفسك — تطوعا — مسئوليته عن الآخرين

إيفيـــلين : من الأيسر بكل تأكيد أن يتنصل المرء مـــن

آرنـــو : لست متأكدا من ذلك .

إيفيـــلين : تروَّ في الأمر . .

آرنـــو : ليس الصعب هو تحمل المسئولية ، بل وضعها في مكانها .

إيفيـــلين . لا أفهم شيئا . أما أنا ، فأعتقد أن الاغراء الذى يراودنا نحن البشر المساكين ، هو دائما الامتناع ، والتساهل . . .

آرنـــو : إنك تؤمنين بالفعل .

إيفيـــلين : بكل كيانى .

آرنـــو : لاشك أنك على حق ، ولكن ، أأنت واثقـــة من رؤيته حيث يكون ؟

إيفيـــلين : نحن هنا نتجادل . . .

آرنـــو : أوه ! كلا ياإيفيلين ، أنت مخطئـــة .

إيفيـــلين : هل تتحمل أنت مسئولية الموافقـــة على هذا الزواج ؟

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ـ ماجي

ماجى : انتهزت فرصة خروج زوجك فأتيت لأقول لك كلمة يا إيفيلين . صباح الخير ، ياآرنو . (إلى إيفيلين) لقد انتظرتك حتى العشاء .

إيفيـــلين : معذرة ياماجى ، لم أتمكن من الذهاب إليك. فستللا ليست اليوم على مايرام إطلاقا .

ماجى : (في عدم اكتراث) ماذا بها ؟

إيفيـــلين : بل سأطلب منك أن تسمحى لى بلحظة : إذ ينبغى ان أرى اذا كانت تحتاج شيئا .

ماجى : ليس أمامى سوى بضع دقائق .

إيفيـــلين : سأعود حالا .

(تخرج)

المنظر الخامس

آرنو ــ ماجي

ماجى : يبدو أنك شديد الحزن .

آرنـــو : ليس بوجه خاص .

ماجى : هذا فظيع !

آرنـــو : كيف ؟

ماجى : هذه طريقة للاعتراف بأنه من المألوف . . . أوه ! أفهم من هذا أن الحياة هنا تخلو من البهجة. وكثيرا ماأتساءل : كيف استطاعت إيفيلين أن تتحملها . وفضلا عن ذلك . . . (تتوقف عن الكلام) وهذا أيضا لغز .

آرنـــو : ولكن ألاترين أننا نتطور هاهنا متحسسين طريقنا بين ألغاز . . لا أدرى . . وكأننا في حجرة مظلمة ، وسط أثاث لانميزه ، ونخشى أن نصطدم به .

ماجى : أبدا ، لا ، ليس لدىّ هذا الانطباع على الاطلاق . . وان كنت أجد أنه شيء لا يطاق .

آرنـــو : لسنا مُخَيَّرين .

ماجى : سيان . ينبغى القول بأن أبى يتمتع بعقلية واضحة ، كما أنه مرب عظيم . ولا توجد الكلمات الـتى يمكن أن أعبر بها عن كل ما أنا مدينةٌ به إليه . ثم ، كل تلك المطالعات التى جعلنى أعكف عليها منذ أن كنتُ في الثانية عشرة . . .

آرنـــو : والقلم في يدك ، على ما أظن .

ماجى : لن تصدق ما أقول . . فأنا لم أقرأ كتابا قـــط يستحق العنــــاء دون تدوين ملاحظاتى . أنا لا أتحدث إليك عن الروايات ، فأنا أمقتها . . وهذه صفة أخرى اشترك فيها مع أبى .

آرنـــو : إن أذواقك جادة إلى أبعد حد .

ماجى : أكره الشعور بأننى أضيّع وقتى .

آرنـــو : جميل جدا .

ماجى : كانت إيفيلين مثلى ، فيما مضى ، ومنذ أن تزوجت ، لست أدرى .. لقد لاحظت أن الزواج يصاحبه عندنا في أغلب الأحيان ، توقف في التطور .

آرنو : وعند الرجال ؟

ماجى : لا أدرى . (صمت) انك تستدرجنى إلى نقطة ليست لديك عنها أية فكرة .

آرنو : آسف .

ماجى : لماذا ؟

آرنو : لا بد أنه احساس بغيض ، ألا أستطيع . . . الاندراج في فئة . أليس كذلك ؟

ماجى : ليس ذلك فحسب ؛ كلا ، بكل تأكيد .. بل سأفضى اليك باعتراف يدهشك .. إننى كثيرا ما أفكر فيك ، أتعرف لماذا ؟ توجد بغرفتى نسخة من « الفارس » الموجود في متحف آنفرس كما تعلم ، وأنا أرى أنك تشبهه . أتفهم ما أعنيه؟

آرنو : كلا . فأنا لم أسافر كثيرا .

ماجى : يا لها من متع تلك التى تحرم نفسك منها !

آرنـــو : لست محبا للاستطلاع .

ماجى : هذا مالا أستطيع أن أفهمه . الحياة قصيرة كل القصر ! فكيف لا تشعر بالحاجة إلى .. لست أدرى ، أنا .. إلى جَمْع ...

آرنـــو : انطباعات جميلة ؟

ماجى : ذكريات جميلة يا آرنو ، هذا ما أريد !

آرنـــو : تلك الكنوز ، لن نحملها معنا .

ماجى : إلى أين ؟ ما أشد غرابتك ! إليك مثلا أبى ، خلال أمسيات الشتاء ، إنه يعيد قراءة دليل كل بلـــد زارها ، وهو يعيد النظر إلى البطاقات البريدية ، والصور التى التقطها لتلك الرحلات .

آرنـــو : هذا نوع من الجَرْد .. أما أنا ، فإن ذلك يفعمنى حزنا .

ماجى : أبدا ، بل إنه يشعل العاطفة . والحق ، أريد أن أقول لك ، إنك تعيش فيما يشبه الكهف .

آرنـــو : لا أعتقد أن هذا صحيح على الاطلاق يا ماجى . فاذا أصررت على أن أعقد مقارنة ، قلت بالأحرى إننى أعيش فوق عباب البحر .. أما أنت .. فإنك تؤثرين الأرض الثابتة .

ماجى : لم تدرك ما أعنيه يا آرنو ، إننى أعبد الرحلات البحرية .

المنظر السادس

نفس الأشخاص ـ مدام دي بويجرلان

مدام دى بويجرلان : مساء الخير ياآرنو . . يا آنسة . . أليس آلان هنا ؟

آرنـــو : كلا ، ياسيدتى ، إننا لم نره منذ بداية هـــذا العصر .

مدام دى بويجرلان : لقد أردت أن اتصل بكم تليفونيا ، ولكننى لم أنجح في الاتصال .

آرنـــو : كان علىّ أن أتحدث طويلا بالتلفون مع باريس من أجل جدّتى ، التى غادرتنا منذ لحظـــة . . .

مدام دى بويجرلان : هكذا فجأة ، على غير انتظار ؟

آرنـــو : أجل .

ماجى : (تنهض) لن تعود إيفيلين إلى النزول ، أرجو أن تحمل إليها تحياتى وآمل ألا تزداد صحة أختك سوءاً .

مدام دى بويجرلان : ستللا ؟ . .

آرنـــو : كانت قد استيقضت لحظة عصر هذا اليوم ، ولكنها لم تشعر بأنها على مايرام ، فعادت إلى الرقاد من جديد .

ماجي : إلى اللقاء ، ياآرنو ، كلا ، إنى ارفض ــ بكل تأكيد ــ أن اجدك بحارا ، مهمــا كانــت الظروف .

(يرافقها آرنو حتى الباب)

المنظر السابع

آرنو ــ مدام دي بويجرلان

مدام‌دى‌بويجرلان : آرنو ، انى أتعذب ، ولن تستطيع أن تعرف إلى أى مدى .

آرنـــو : لاأعتقد أن هناك مايدعو لذلك ، وهذا ماأؤكده لك . فانت تعرفين جيدا أن آلان كان مغرمـــا دائما بتلك الجولات الطويلة المنفردة .

مدام‌دى‌بويجرلان : ولكنه يتعب الآن أسرع من الماضى . . وقـــد أحسست طيلة تلك الأيام الأخيرة ، بأنه في أشد حالات التوتر والقلق . . . وقد قلت انه حضر:

في بداية العصر ، ولكنه لم ير ستللا ، على ما أظن ؟

آرنو : كلا ، ولكنني أعرف أنه تحدث مع والدى ومع إيفيلين .

مدام دى بويجرلان : وهل والدك هنا ؟

آرنو : لقد رافق جدتى إلى المحطة ، ولكنى اعتقد أنه لن يتأخر في العودة . وستنزل إيفيلين حالاً .

مدام دى بويجرلان : وأنت ياآرنو ، ألم تر آلان ؟

آرنو : كلا .

مدام دى بويجرلان : ألاتعرف إذا كان . . . ؟
(لاتكمل جملتها)

آرنو : هاهى إيفيلين .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ـ ايفيلين

إيفيلين : هل رحلت ماجى ؟ (إلى مدام دى بويجرلان) مساء الخير ، ياسيدتى .

آرنو : كلفتنى ماجى بأن اخبرك بأنها لم تستطع انتظارك .

إيفلين : يا لها من مخلوقة غريبة الاطوار.

مدام‌دی‌بویجرلان : أعتذر عن مجيئى في هذه الساعة غير المناسبة ، غير أن آلان لم يعد ، فراودنى أمل غامض — بأنى قد اجده هنا . يقول لى آرنو انك رأيته بعد ظهر اليوم .

إيفيلين : هذا صحيح .

مدام‌دی‌بویجرلان : هل لى أن اسألك عما إذا كان قد بدا لك . . مشغولا بوجه خاص ؟ (تتردد إيفيلين) ، أرجوك ياسيدتى ، لاتخفى عنى شيئا .

إيفيلين : من المؤكد أنه كان منفعلا جدا . ولكنك — تعلمين بلا شك أنه قد كتب رسالة إلى ستللا بعد محادثتنا . . .

مدام‌دی‌بویجرلان : لقد اتصلت بى تلفونيا : وكانت تريد أن تتحدث إليه عن ذلك الخطاب دون شك . فأجبت عليها بأنه غائب ، وهنا قالت لى إنها ستأتى لتقبيلى في آخر النهار ، ولكنها لم تأت . وعلى كل حال ، وأيا كانت المشاعر التى أوحى بها خطاب آلان إليها ، فانه لن يعرف عنها شيئا مادام لم يتم بينهما اليوم اتصال .

إيفيلين : ليس من شك أن . . .

مدام دى بوبجرلان : ان مايهمنى اذن ، هو أن أعرف بالضبط في أى حالة كان عقب تلك المحادثـــة . . .

إيفيـــلين : منفعلا جدا ، هذا ماأعيده عليك ، على أن نوع الانفعال . . . . غير المعقول الذى كا ن فريسة له ، لم يمنعه من كتابة تلك الرسالة التى لايمكن إلا أن تكون طلبا للزواج .

مدام دى بوبجرلان : وبعد ؟ ماهى النتيجة التى تخرجين بها من هـــذا كله ؟

إيفيـــلين : انه لم يقرر العودة لأنه ينتظر عند عودته الـــرد الذى سيحدد مصيره نهائيا . . أجل ، إنه يؤجل اللحظة الفاصلة .

آرنـــو : هذا محتمل جدا .

مدام دى بوبجرلان : أنت ياآرنو ، أكنت تتصرف على هذا النحو ؟

آرنـــو : إن كل منا —آلان وأنا — طبيعتين مختلفتين أشد الاختلاف .

مدام دى بوبجرلان : ألديك من الأسباب مايدفعك إلى التفكير في أن ستللا قد ردت عليه ؟

آرنـــو : أنا على يقين من أنها لم تفعل .

مدام دي بويجرلان : ألا أستطيع أن أراها ؟

لي إيفيلين : أطلب إليك بالحاح أن تنتظرى يوما أو يومين . إن حالتها تزعجنى .

مدام دي بويجرلان : حالتها الجسمية أم المعنوية ؟

إيفيلين : يستحيل التمييز بينهما . (صمت)

مدام دي بويجرلان : آرنو . . . ألك . . . شيء من التأثير على آلان ؟

آرنو : كلا ، للأسف ، ليس لى أدنى تأثير .

مدام دي بويجرلان : أنت تعلم أنه كان طفلا شديد الورع ، ثم ، لست أدرى .

فأساتذة الليسيه ، والزملاء والمطالعات . . منذ عامين حسبت أننى ألاحظ عليه عودة إلى حماس الصبا . وتمكنت من إرساله إلى الأب فوريه للتحدث إليه مرتين أو ثلاث مرات ، ولكننى أخشى ألايكون الأب قد نجح في توجيهه . بل يبدو أنه ثبط همته .

أما أنت ، ياصغيرى آرنو ، فلدى الشعور دائما بأنك لو تعهدته . . .

إيفيلين : يالها من كلمة فظيعة !

مدام دي بويجرلان : فقد تحصل منه على وعد بمواصلة أداء الشعائر بانتظام ، إنه لم يكن يريد الاشتراك في طقوس عيد الفصح . فاذا قبل التناول ، فقد تتخلى عنه بعض الأفكار الشنيعة .

آرنـــو : تقصدين . . فكرة الانتحار .

مدام دي بويجرلان : (بصوت خفيض) أجل .

إيفيـــلين : أعتقد أنه لاينبغي عليك اطلاقا أن تأخذي تهديداته مأخذ الجد ، فلدى انطباع واضح بأنه يتلاعب بها .

مدام دي بويجرلان : (بصوت مرتجف) وحتى لو كنت على صواب فليس من الخير أن تتحدثي على النحو الذي تتحدثين به . .

إيفيـــلين : يبدو لى الأمر على عكس ذلك . . .

مدام د بويجرلان : كلا ، كلا ، ومع ذلك فلست مندهشة . . لأن هذا التلاعب — كما تقولين يمكن أن يصبح مع طول الوقت شيئا قاتلا .

آرنـــو : سألت نفسي في بعض الأحيان ، اليس من واجبك أن تصحبيه بعيدا جدا . فتقومي معه برحلة طويلة ، إلى مصر ، والهند . . .

مدام د بويجرلان : على هذا ، فأنت تكاد تكون على يقين من أن ستللا سترفض .

آرنـــو : على العكس ، فقد رأيتها بعد ظهر اليوم عازمة على الزواج منه . غير أن ستللا ليست في حالتها الطبيعية ، كما قالت لك إيفيلين ، فهى نفسها لاتعرف ماتريد . وينبغي — على ماأعتقد — أن نترك لها وقتا تستجمع فيه شتات نفسها .

مدام دي بويجرلان : انت لاتحسب حسابا للظروف ، ياآرنو ، انت تفكر في المجرد .
وهذه الرحلة التي تزكيها ، ستكون عقوبة — بالنسبة إليه . إنه لايكاد يستطيع احتمالى ، فى معظم الأحيان يتناول كل منا طعامه بمفرده .
وانى لأحسب هذا تكفيرا عن ماض ثقيل جدا . فمنذ وفاة زوجى ، تعلم جيدا ، انني قد كرست له حياتى ، ولم أكن أعرف كيف أخفى عنـــه ذلك ، وهذا أمر لم يغفره لى .
قرأت كتبا لهؤلاء النفسانيين . . أولئك المحللين النفسيين الذين يتحدثون عنهم كثيرا في هـــذه الأيام . بيد أن الحياة أكثر تعقيدا مما يظنون ،

بل أكثر فظاعة . وربما كان آلان يشعر نحوى
بذلك النوع من العاطفة . . هذا ممكن جدا ،
وربما كان هذا هو سبب بقائه طاهرا فترة أطول
من سواه . أوه ! إننى واضحة جدا . . واضحة إلى
أبعد حد . . . ولكنه — أضمر لى حقدا عميقا ،
ربما لم يشعر به هو نفسه ، كل ما يعرفه هو أننى
أزعجه . . . وليس هذا ذنبى ، كما أنه ليس ذنبه
وكثيرا ما فكرت . .أجل ، لقد تحدثت عن
هذا إلى قساوسة ، ولكنهم لم يفهموا ، ولم
يريدوا . . . وكأن العذاب الانسانى لاحق له في
أن يتجاوز حدودا معينة . وحين يصل إلى ماوراء
تلك الحدود ، فانه يتمخض عن نفس النتائج
التى تنجم عن ذنب كبير . ولهذا فانه . . —
يعاقب . ولو أننى تَعَزَّيتُ في يسر عن وفاة
زوجى ، لكانت هناك اهتمامات أخرى في
حياتى ، وما كنت أثقل على ابنى آلان المسكين .
والآن . . . (تمسك عن الكلام ، وقد أصابها
الاعياء)

آرنـــو : (في ألم عميق) ألم يفهموا ؟

مدام دى بويجرلان : تعنى القساوسة ؟ كلا ، فهذا مناقض أشـــد

التناقض لتعاليمهم . . أوه ! إنهم على حق بكل تأكيد ، وأنا التى أسىء التفكير .

آرنـــو : كلا ، ولكن ، لعلك لاتتجهين مباشرة إلى الأعماق . وهذا العذاب الذى تتحدثين عنه ، والذى يصل إلى وراء ماتسمح به الطبيعة . . . لاأتصور انه خطيئة ، بل امتياز شديد الوطأة ، وينبغى أن يصاحبه شىء من الزهد . وإلا كان محاباة للذات . . محاباة غير مشروعة .. هدامة .. لا بالنسبة للذات وحدها ، بل على الأخص ، بالنسبة للآخرين .

مدام دى بويجرلان : (فى عمق) لاريب أن هذه هى الحقيقة . شكرا ، ياآرنو . —

إيفيـــلين : (التى لم تستطع مداراة شىء من التوتر) أطلب منك — ياسيدتى — أن تفكرى فى ستللا ، فهى التى ينبغى أن تشغلنا بوجه خاص فى هذه اللحظة. وحين صعدت إليها منذ لحظات ، وجدتهـــا محمومة ، بل تكاد تهذى . فاذا كان آلان — وهذا ماأخشاه — قد ضغط عليها فى ذلك الخطاب الذى لاندرى محتواه — بهذا الابتزاز . . .

مدام دى بويجرلان : أرجو أن تسحبى هذه الكلمة .

إيفيلين : إنها للأسف الكلمة الوحيدة المناسبة .

آرنو : إيفيلين ، أنت مخطئة ، تذكرى . . .

إيفيلين : (إلى مدام دى بويجرلان) إن من واجبنا الصارم — أنت وأنا — أن نحمى ستللا ضد هذا الاستغلال إنه لاشعورى ، ولذلك السبب فهو خطير .
والواقع أن ستللا لو كتبت إليه في هذا الوضع الراهن للأشياء — فان من واجبك إخفاء خطابها.

مدام دى بويجرلان : هذا جنون .

إيفيلين : إنك لاتريدين أن تنظرى إلى الحقيقة وجها لوجه.

مدام دى بويجرلان : وأنت نفسك ، أأنت واثقة إلى هذا الحد ؟. . .

إيفيلين : انها لم تخفنى قط .

مدام دى بويجرلان : ولكن هل . . (بلهجة مختلفة) تحدث أميديه أيضا مع آلان ؟

إيفيلين : بضع دقائق .

مدام دى بويجرلان : وهل يشاطرك . . هواجسك ؟

إيفيلين : أنت تعرفين أميديه : إن له منظوره الخاص به .

مدام دى بويجرلان : ماذا تقصدين بهذا ؟

إيفيلين : تعلمين مثلى أنه لم يشعر قط بشعور الآخرين .

مدام دى بويجرلان : لقد لاحظت أنك لم تجيبى علىّ . آرنو . . .

آرنو : إن أبى يحب آلان كثيرا .

إيفيلين : أنت تعرفه تمام المعرفة ، فلا قيمة للانسان في نظر أبيك إلا بصورته هو نفسه التى يتأملها في قاع عينيه . ولكى تكون هذه الصورة متملقة قليلا . . .

مدام دى بويجرلان : (في خشونة متزايدة) ومن المفهوم أنك — تحكمين على نفسك بأنك منزهة تماما عن هذا ... الضعف ؟

إيفيلين : كيف ؟

مدام دى بويجرلان : ومع ذلك ، فالنفور الفظيع الذى يثيره في نفسك . لاتنكرينه . . يأتى طبعا من أنك لم تجدى في — عينىّ أنا . . انعكاسا يرضيك .

إيفيلين : أنت صديقة أميديه ، وأعرف انك لم تهتمى اطلاقا بأن تكونى صديقتى . وإنى لأذكر جيدا زيارتى الأولى لك في شارع « كورسل » . .

آرنــو : إيفيــلين ، كيف لاتشعرين بأن هذا كله . . أكثر من مؤلم ؟

مدام دي بويجرلان : الحقيقة هي أنك منذ اليوم الأول شعرت بأن في نظرتي سؤالا لايعجبك .

إيفيــلين : أي سؤال ؟

مدام دي بويجرلان : أمن الضروري حقا أن أوضحه ؟

إيفيــلين : أي ســؤال ؟

آرنــو : أرجوك ياسيلتي ، ألا تعجيني . كوني من الخير بحيث لاتجيبين .

مدام دي بويجرلان : أظن أننا لانستطيع الاتصال تلفونيا ؟

آرنــو : لقد تجاوزت الساعة التاسعة .

مدام دي بويجرلان : سأعود ، فربما كان الآن في طريق عودته .

آرنــو : هذا محتمل . . . وسأتصل بك تلفونيا صباح غد لكي أتأكد من أن كل شيء على مايرام . . غير أنني لست قلقا .

مدام دي بويجرلان : شكرا ، ياصغيري آرنو . إنك طيب .

آرنــو : الواقع ، أنني أستطيع أن أرافقك .

مدام دي بويجرلان : كلا ، فان معى سيارتى . ولاجدوى من ذلك على الاطلاق .

(تخرج مع آرنو ، الذى يعود بعد لحظة)

المنظر التاسع

ايفيلين ــ آرنو

إيفيلين : (في غلظة) امقت ان أراك في دور الملاك . (صمت) أتنضم إلى صفها ضدى ؟

آرنو : إنى أكن لها إعزازا كبيرا .

إيفيلين : لقد لاحظتُ ذلك .

آرنو : وأنت تعلمين ــ أنت نفسك ــ أنك ظالمة .

إيفيلين : لقد أحسست دائما بأن لديها نوعا من التحيز .

آرنو : كلا ، ياإيفيلين ، لا أعتقد ذلك . إنها لم تكن تبغى سوى الترحيب بك .

إيفيلين : الترحيب ! يالكلماتك ! . .

آرنو : كل مافي الأمر ، أن هناك شيئا لاتستطيع تفسيره ولما كانت في غاية الاستقامة . .

إيفيلين : انها تتمتع بكل الصفات الحميدة .

آرنـــو : كلا ، بالطبع ، إن لها فضائل عظيمة ، وضعفا عميقا ، ولكنها تقيم بينهما شيئا مـــن التوازن.

إيفيـــلين : وهذا السؤال الذى توسلت إليها ألاتوجهه إلى، أنت نفسك أنت . . .

آرنـــو : لقد أردت زمنا طويلا ان احول عنه فكرى . وهذا لم يعد اليوم ممكنا ، إيفيلين ، اعتقـــد أنه لم يعد لنا الحق في ذلك على الاطلاق .

إيفيـــلين : نحن .

آرنـــو : أنت وأنا .

إيفيـــلين : أتريد ان تتحدث عما حدث في الآنجادين ؟

آرنـــو : (في رفق) عن زواجك ، بكل بساطة . . كانت هناك انسانة مجهولة تثقل على وجودنا . ومادمت لم تلق ضوءاً على هذه المجهولة ، فان حبك لستللا لايمكن إلا أن يتحول ضدها .

إيفيـــلين : أنا لاأفهم شيئا على الاطلاق .

آرنـــو : وأنا لست متأكدا من فهمه ، ولكننى أراه .

إيفيـــلين : إنى احسدك على توكيداتك .

آرنـــو : كلا ، ياإيفيلين ، الناس لاتستطيع أن تحسد إلا الممتلكات ، وأنا لاأملك شيئا . إن إملاقى تام ، وأنا نفسى ، حين أتأمله ، أشعر أحيانا بحزن لااسم له . مما يدل على . . .

إيفيلـــين : على ماذا ؟

آرنـــو : على أنه لاوجود لشىء نملك حق النظر إليه .

إيفيـــلين : وددتُ لو كنت مكانكِ .

آرنـــو : وهذا أيضا وهم . وذلك لأنك تتصورين شيئا لاوجود له ، أو لانستطيع في نهاية الأمر أن نتخيله أبدا . . (برهة) ألا تريدين تفسير ذلك لى ؟ أؤكد لك أنه ليس حب الاستطلاع ، وإنما هو ضرب من القلق ، وإن لم يكن قلقـــا شخصيا على الاطلاق بل هو قلق عليك .

إيفيـــلين : (على مهل ، وبصوت مكتوم) لن تستطيع ان تدرك تلك الاسابيع من التمرد التى اجتزتها حين وصلت إلى « سيلقابلانا » . فكثيرا ماقلت لكم ذلك ، إننى كدت أعتقد العزم على الافتراق عن أبى ، والرحيل إلى فيينا . . ولم أكن أدرى لماذا كانت فيينا تجتذبنى ، وتخيفنى في الوقـــت

نفسه . قلت لنفسى ، سأضيع فيها ، سأضيع فيها ... وأخذت أردد ذلك بنوع من الرضا المنقبض اليائس . وخيل إلى أننى لم أحب أحدا ، واننى قد نَفَدْتُ عبر كل العواطف . . وطبيعى ، كان هناك ذلك الحب اليائس لذلك الطبيب . . . ولم تبق لى منه سوى المرارة . . رماد أتمرغ فيه ، كما يتمرغ المرء في الرمال . . وعندما رأيتكما انتما الاثنين . . . ولن أنسى أبدا ذلك اليوم في آخر شهر يوليو ، عندما التقينا بالقرب من بحيرة تشيبا ، وأنت تتذكر تلك العودة الطويلة . . وكأنما كان قلبي يبدأ الحياة من جديد . . . كانت تستبد بى رغبة في الضحك والبكاء ..لست أدرى. . لقد دخلتما—انتما الاثنان في حياتى . كما لو أنكما دخلتما حجرة حزينة ، ففتحتما مصاريعها ، ونوافذها ، وحينذاك اقتحمتها الشمس .

آرنو : ولكن ، ياإيفيلين . . . .

إيفيلين : ولم تتحدثا إلىّ عن أبيكما على الفور أو على الأقل لم تصفاه لى . فكونت عنه فكرة مبهمة ، مبهمة نوعاما ، ولكنها كانت تعجبنى ، أو على

الأقل . . . ثم كان محوطا بجو . . لاأدرى كيف
أعبر عنه . . . بنوع من الأبهة الروحية . .
أوه ! إننى أمقت هذا الآن ، ولكن ، لماذا
لاأعترف بأننى خدعت بها في أول الأمر ؟ —
وسرعان ماأدركت أن فكرة خطرت على بالك
وعلى بال ستللا ، وعلى بالى أنا ، وأنها استقرت
فيكما . لقد تبينتمانى ، وكنتما ترغبان فيّ .
وأحسست بأننى محتفى بها . أجل ، إنه هذا ،
وكأننى قد ألقيت مرساتى ، وفي خلال تلك
الاسابيع عشت تحت سيطرة ثابتة هى ألا أخيب
ظنكما . ومن أجل هذا ، كان لابد أن . . .
أعجبه ، والطريقة الوحيدة هى ألا انظر إليه —
كثيرا ، وألا أدع حقيقة محيرة أتوقع حدوثها
تنفذ تماما إلى نفسى . وهذا اشبه بحالتنا حين
نبتعد لكيلا نتنفس رائحة معينة . غير أن هذه
مقارنة لم تخطر على بالى إلا الآن . . . (صمت .
آرنو يثقل عليها) أتراك تحكم عليّ ؟

آرنو : وإنما أحاول الفهم ، وأن أتذكر جيدا . . .

إيفيــلين : في بعض المراحل الحاسمة ، يبدو وكأننـا نسير في مسالك ضيقة تبعث على الدوار : فلا نتقدم إلا بفضل الغريزة ، وبشرط أن ننظر ... من هنا ، لامن هناك . . وعلى الأخص ،لامن هناك . . . ثم ، إننى أكذب على نفسى لو لم اعترف إلى نفسى أن الوان رعايته لى قد تملقتنى . . أجل ، وأرضت غرورى . فحتى الآن ، لم أكن قد اجتذبت إلا انتباه أشخاص عاديـين أو أشخاص يبدون لى تافهين ، أصدقاء أبى ، وهم يبعثون على اشد الملل ، فنيون في أغلـب الأحيان . أما والدك فانه يتمتع في نظرى بنوع من . . هذا مؤسف ، ولكنها الحقيقـة . وبسببكما ، ولأنى كنت أحبكما ، لم أشأ أن افقد الثقة في نفسى . ها أنت ترى ياآرنو ، أننى لم أكن أفكر في تدبير أمورى .

آرنـو : ولكنه هو . . هل حدث لك . . مرة واحدة . . أن فكرت فيه ؟

(صمت)

إيفيــلين : (بصوت خافت) لاأدرى .

آرنـــو : ألاترين أن ذلك . . أمر مخيف ؟ . . لقد — أعلنت منذ لحظة آنه لايشعر بشعور الآخرين . . . فهل من حقك أنت أن توجهى إليه هذا الاتهام ؟

إيفيـــلين : (في حدة) أتوسل إليك ياآرنو ، ألا تكون على صواب بهذا الشكل الرهيب ، إذا لاأشعر بأننى اتحدث إلى كائن بشرى . . . إننى أحاول توضيح نفسى .

إنك تدرك ، كم هو مشغول بنفسه ، كما لو كان يبيح لك أن تضع نفسك مكانه .

آرنـــو : أجادة أنت فيما تقولين ؟

إيفيـــلين : (وقد أرهبتها لهجته) ، أجل ، على مايبدو لى.

آرنـــو : مشغول بنفسه . . ألم يخطر ببالك قط أن هـــذه سمة شخص هش جدا ، أعزل جدا ، نهم جدا أيضا ، وأشد مايكون تعاسة . . .

إيفيـــلين : لاأعتقد أن والدك قادر على الألم — على ماأسميه أنا بالألم .

آرنـــو : ماتسمينه أنت . . لابد لك من آلام مدموغة ، ياإيفيلين . . ثمة آلام أخرى ، كما توجد أمراض لم يعرف لها اسم بعد ، ولكنها ليست أقل فظاعة

أما أنا ، فأعتقد أن أبى رجل شقى إلى أبعد حد ، وأن شقاءه ليزداد بقدر ماتقل معرفته به . وذلك النوع من الظمأ المبهم الذى يلتهمه ، هو نفسه لايعرف عنه شيئا — والسبب هو أنه التهمه فلم يبق منه شيئا .

إيفيلين : لست أدرى ، إنها نظرة من نظرات الروح .

آرنو : إنه يقين . . فلوأنك حاولت . . أن تفكى رموزه ، مستخدمة هذا الحاجز . . ولكن ، ربما كان الوقت متأخرا جدا .

إيفيلين : لاأرى شيئا في سلوكك تجاه أبيك قد كشفعن هذا الاعتقاد . المدهش . فأنت معه ، تبدى الاحترام ، وإن كنت متباعدا جدا . وخلاصة القول ، انك تعامله معاملة الغريب .

آرنو : أتعتقدين أنى لاأرى نفسى مذنبا حياله ؟ انه بالنسبة لى اشبه بجزيرة. لم أجد بعد وسيلة للوصول إليها . وإنى لأصلى كل يوم لبلوغها . . . ثم — إنى — ياإيفيلين — مهما بدا ذلك غريبا جدا — لم أدرك شقاءه إلا في هذه اللحظة ، وبعد احتكاكى بك . . والشيء الغريب جدا هو أنك

لمحت شقاء ستللا ، ولكنك لم تكتشفي شقاءه هو ، مع أنهما متشابهان .. ولاينفصلان . وهناك بعيدا ، أبعد قليلا ، وراء هما ، ثمة شقاء آخر ، ضحية أخرى .

إيفيــلين : أجل ، أعرف من تقصده .

آرنــو : ولكنني — ياإيفيلين — أستميحك عذرا ، إن بدوتُ لك قاسيا جدا . . إذ يخيل إلىّ ، أنه لايحق لنا استغلال أولئك الغائبين ، وتقييدهم . . إن أمي ، ياإيفيلين . . . تلك الفعلة اليائسة الــتى اندفعت إليها ، كما نندفع إلى الموت . . .

إيفيــلين : وبعــد ؟

آرنــو : طالما تساءلت : ألايمكن أن يكون أبي هوالذى أوحى إليها — في الواقع — بهذه الفكرة ؟

إيفيــلين : ماذا تعني ؟

آرنــو : لأنه كان يتوقع ببساطة أن تقوم بها ، لأنه كان في حاجة إليها . . أتفهمين ؟ وكأنما كان لابد من وقوع حادث ليبرر في نظره الشفقة التي يشعر بها نحو نفسه . . وربما كان أولئك الذين نسميهم

مجرمين ، ليسوا في بعض الأحيان سوى . .
مفتونين . —

ولكن هـذه الجريمـة المستعارة التي لم تستطع التعرف على نفسها . . أعتقد أنها قد عزلتها عن نفسها . وهكذا ، اضطرب عقلها . . وضاعت حقا .

إيفيلين : من أين تأتيك هذه الأنوار ؟

آرنو : لن نعرف أبدا ذلك الجانب من الموت . وكوني على يقين من أنها ماكانت هي نفسها تستطيع التفسير — ولاهو أيضا . . أما انا ، فقد عاهدت نفسي منذ أمد بعيد ، على التسليم بهذا الجهل .

إيفيلين : بينك وبين نفسك ؟

آرنو : كلا . . وانما هو ميثاق وقعته .

إيفيلين : مع مَنْ ؟

آرنو : لاأشعر بالحاجة إلى التصريح باسم . . . شريكي ، كل ما أعلمه هو أنه حضور . . ليس حضورا انسانيا ، شخصاً لا أستطيع الحديث عنه ، ولكنني — بالنسبة إليه — « أنت » . إنه موجود . . وهو ساهر . . .

إيفيلين : عليك ؟

آرنو : من أجلى ، من أجلنا .

إيفيلين : هذا شيء لاسبيل إلى تصوره . ياله من سراب داخلى ذلك الذى تشيد عليه وجودك ! (آرنو لايبدى احتجاجا .) آرنو !

آرنو : عفوا . ماكان ينبغى على أن . . .

إيفيلين : كيف أستطيع أن أتعرف على نفسى داخل هذا التشابك المعقد الذى لاسبيل إلى الخلاص منه ؟ فتارة تصدر عنك . . لاأدرى . . سلطة تستعبدنى وتارة أخري يخيل إلى أننى أنصت إلى طفل معتوه. أيوجد فيك نسيج قديس أم لاتعدو أن تكو ن صاحب رؤيا ؟ أنا وحيدة ، انا ضائعة . (آرنو لاينطق بشيء ،ونشعر انهمستغرق في صلاة صامتة .) كم الساعة ؟ كيف لم يعد والدك حتى الآن ؟ . . . لكأننا خارج الحياة . فلا نسمع ركزا . . . ألن تتركنى أقترب منــك؟ لكى اتكلم لغتك التى لن تكون لغتى أبدا، ياآرنو ربما . . . أجل ، ربما اخطأت على سبيل الكبرياء انظر ، انى أوافق على ذلك ، ولا أتشدد . إن

الطريق الذى سلكته حتى الآن لم يؤد بى إلى أى مكان . أحب أن اغير طريقى . ومادمت تتمتع بأنوار حرمت على ، فلماذا لاتقبل ارشادى ؟ سأكون طيعة . . متواضعة ، أؤكد لك . وربما تعلمت أن أكون أكثر إنصافا له — مادمت تعتقد أنني غدرت به . وإنى لعلى يقين في هذه اللحظة من أنك على صواب . وكان ينبغي . . . كان ينبغى . . . (تتنحى نحوه . في قلق .) آرنو ، لماذا لاترد علىّ ؟ لكأنك تشعر بخوف لاتريد أن تصارحنى به .

آرنـــو : أنت مخطئة ياإيفيلين ، لاأشعر بأدنى خوف . . . (تبقى الجملة معلقة)

إيفيـــلين : لماذا أشعر بأنك لاتفضى إلىّ بكل ماتفكر فيه ؟

آرنـــو : (بصوت متردد) ثمة قرار خطير استقر عليه عزمى منذ مدة . . . أو بالأحـــرى . . كلا . ، لست أنا الذى اتخذته ، بل أشير به... علىّ . وأطلب منك أن توافقى عليه — ياإيفيلين . . . حتى لو أدهشك ، كما أخشى...

إيفيـــلين : (في اعياء) آه !

ارنـــو : سأدخل في سلك الرهبان خلال بضعة أسابيع .

إيفيـــلين : (في شبه صرخة يائسة) ليس من حقك .. كيف تريد أن ... ؟ (تشعر بنظرة آرنـــو عليها ، فتقول بصوت متلعثم) ينبغى أن تتزوج ، ياآرنو ، وأن يكون لك أطفال .. ليس هذا ممكنا ... هذا ضلال .. سأمـــوت لوحـــدث ..

آرنـــو : (في رقة عميقة) تموتين ، ياإيفيلين ... — أتعرفين حقا مامعنى أن يموت المرء ؟

إيفيـــلين : (في شيء من الحدة المركزّة) سأموت لوحدث ذلك .

آرنـــو : أما أنا ، فمنذ أن استمعت إلى هذا الحكم ، يخيل إلى أننى استشف ماهو كائن .. وماسيكون. فبالموت ننفتح على ماعشنا من أجله على الأرض . هأنذا أقدم إليك الفكرة التى استمد منها غذائى.

إيفيـــلين : أنت لاتقدم لى سوى كلمات .

آرنـــو : إيفيلين ، ألم تسألى نفسك قط علام تعيشين ؟

إيفيـــلين : (في مرارة) —إننى كالآخرين ، لاعليك ،

لن أصمد إلا بشرط ألا تطلب منى ذلك . . .
(في صوت مختنق .) لقد حطمتنى .

آرنـــو : بل أعتقد بالأحرى أننى انتزعت منك شيئا كان يمكن أن يخنقنا . (صمت)

المنظر العاشر

نفس الأشخاص ــ اميديه

إيفيــــلين : يالها من عودة متأخرة الا بد أننا في ساعة غير مناسبة.

أميـــديه : لقد تأخر القطار عن موعده ، ياإيفيلين . يالها من ليلة رائعة ــ نادراً مانفيد من تلك الليـــالى القمرية الساطعة ، المثيرة للأشجان ــ لقد عدت سائرا على قدمى . وأنت تعلمين أننى أسير بخطى واسعة ، مستغرقا في خواطرى . بيد أن ــ المصادفة شاءت ــ وأنت تقول بالأحرى العناية الالهية ياصغيرى آرنو ، وفي واقع الأمر لاتجانب الصواب ــ أن ألمح شيئا منحنيا على حافة مستنقع . .ولم أتعرف عليه لأول وهلة .
وخضوعا لدافع لاأدرى كنهه ، انحرفت عـــن الطريق ، واقتربت منه ، وكم كانت دهشتى

حين تبينت أن هـــذا الحالم الخائر لم يكن سوى آلان . . إيه ، أجل ، آلان ! فوضعت يدى برفق على كتفه ، فالتفت ، ولن أنسى ماحييت تعبير الفزع ، والدهشة الحانقة الذى طالعتــه حينذاك في عينيه .

إيفيـــلين : الحانقــة ؟

أميــديه : ذلك لأنى قطعت عليه خلوة لذيذة . . ولكنها قلقة . . أيضا .

إيفيـــلين : كان يتجول نائما .

أميـــديه : لم يكن يتجول نائما ياإيفيلين ، لاأحب كثيرا هذا الاستهزاء .. بل كان مستسلما لذلك النوع من السحر الخلاب الذى يصدر عن المياه الغافية . لست أدرى إن كنت تذكرين تلك الأغنية ـــ السحرية ، ذلك اللحن لموسورسكى ـــ عـــلى ما أعتقد ـــ الذى كانت تغنيه مارى ـــ استيل فما مضى بصوت أخاذ . . .

آرنـــو : ولكنك لاتريد ياأبى ـــ أن تقول مع ذلك . . .

أميـــديه : بلى ، بالضبط ، ولو تأخرت بضع دقائق ،

لانزلق هذا الطفل الحزين المسحور إلى الموت . . وقد اقتنع هو نفسه بذلك ، فبعد أن انتزعته من هذا الخدر الخبيث ، وعنفته ببعض الألفاظ الودية . وإن تكن على شيءمن الفظاظة ، سألته في غاية من الحنان عما ينتظره في ذلك المكان ، وتلك الساعة ، عند المستنقع المسحور . ولست أذكر الكلمات التي استخدمها بالذات ، فقد كنت في حالة من التأثر السلبي ، وهذا شيء لاأنكره . وقد قال لى شيئا قريبا من هذا الكلام وهو أنني حاولت التوافق مع الأشياء توافقـا دقيقا لكي أصبح — أنا نفسي — في نهاية الأمر دون ندم أو احتجاج . . . شيئا . وقد عنفته — كما تتوقعون — وصورت له الألم المريع الذى تسببه هذه الفعلة لأمه العظيمة وهو يعلم أنـه بالنسبة إليها كل حياتها . . وأنصت إلىّ صامتا ، دون أن يبدو عليه الفهم ، وكأن نصفا منه مابرح هناك بين اعواد المستنقع ، على حين كان النصف الآخر يتبعني كأنه انسان آلى . ولم أتوقف طبعا إلا بعد أن وضعته بين يدى أمه المسكينة التى كانت تبكى من الجزع عليه . ومازلت احتفظ في أذنيّ بتلك الصرخة التى تكاد تكون لا إنسانية —

التى اطلقتها حين رأتنا نظهر في ذلك المخدع الأنيق حيث لبثتْ منذ ساعات طويلة تترقب عودة الابن الضال . .

إيفيلين : منذ بضعة دقائق ، على الأكثر ، لقد أمضت هنا شطرا من السهرة .

آرنو : لاأهمية لذلك ، ياإيفيلين .

إيفيلين : إنى أمقت المبالغة .

أميديه : وأعدّت له أمام عينى إبريقا صينيا للشاى المغلى ، سكبت فيه ملعقتين أو ثلاثا من الروم المركز ، وكنت مضطرا — رغم أن جسمى يحرم على ذلك — أن أقبل فنجانا مليئا من هذا الشراب المقوى . فلن يغمض لى جفن هذه الليلة ، ولكن لاأهمية لذلك على الاطلاق . أما آلان ، فلن يدفع لتهوره ثمنا اللهم إلا رشحا في الدماغ ، وتفتخر صديقتنا بأنها تستطيع أن تقضى على هذا كله ببعض أقراص من جنس الداء .

إيفيلين : العبرة بالخواتيم . ولكننى لاأفهم جيدا ، لماذا لم ينتظر ردّ ستللا على خطابه الذى كتبه إليها بعد الظهر ، قبل أن يتخذ ذلك القرار المتطرف .

أميـــديه : إليك مايثبت ـ ياعزيزتى إيفيلين ـ ومن يخطر له أن يلومك على ذلك ؟ ـ إلى أى حد يظل منطق معين للعواطف غريبا عليك . الانتظار ، ياإيفيلين ، الانتظار . . هذا العذاب الذى ـ لانجرؤ على تمنى نهايته ، فقد يكون في هذهالنهاية خيبة الأمل الأخيرة . . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ـ ستللا

إيفيـــلين : كيف حالك ، ياحبيبتى ؟ لم أكن أظن أنك ستنهضين هذا المساء .

ســـتللا : استغرقت في نوم عميق لمدة ساعة . . وعند ـ استيقاظى . . لاأدرى . . أحسست كأن أمرا سعيدا قد وقع أثناء نومى . (ابتسامة من أميديه توجه حديثها إلى أميديه) ياله من تعبير غريب ذلك الذى يبدو على وجهك ، ياأبى !

أميـــديه : كلا ، ياستللا ، كل مافي الأمر ، أننى ألاحظ وجود . . مصادفات تبهر الانسان بحق .

آرنــو : تصورى أن أبانا ، أثناء عبوره بالقرب مــن المستنقع ، لمــح آلان نائما على حجر . وأنت تعامين سهولة إصابة آلان بالبرد . . . وقد أيقظه أبى ، وهزه ، وأعاده إلى بيته في « جرينيريير » . وكانت مدام دى بويجرلان في أشد حالات العذاب . . وهكذا انتهى كل شىء نهاية حسنة .. كما ترين .

ســتللا : ياآلآلان المسكين ؟ هذا أفضل ، سأتصل به تليفونيا صباح غد .

أميــديه : أجل ، ياحبيبتى . .

ســتللا : سيكون سعيدا . . لقد كتب لى رسالة .

أميــديه : أجل .

ســتللا : هل لاحظت ياآرنو ؟ . عند مايكون مسرورا ، يبدو كطفل صغير ، يود المرء لو أخذه بــين أحضانه .

(تبكى في صمت)

آرنــو : (في حنان ، وبصوت خافت) لماذا تبكين ، ياستيل ؟

ستللا : لست أدرى ، كل شئ قدا ختلط . . اختلاطاً مستعصيا . . في داخلنا نحن ، وفي خارجنا . إنى لأتمثل آلان راقدا على تلك الصخرة ، خائر القوى يائسا وأراه غدا سعيدا .. بل يكاد أن يكون مجنونا .. ولا أريد من بعد ، أن أتذكر كم ضايقنى في كثير من الأحيان ، وأثارنى . . إنى أمحو هذا كله . . فاهم . . .

آرنو : أجل .

أميديه : ياطفلىّ المسكينين ، ثمة لحظات موفقة ، يتألف فيها نظام لاتلتقطه غير الأذن المرهفة ، البالغة الدقة . (ناظرا إلى إيفيلين .) أما بالنسبة — للموسقيين الأقل خبرة ، فتظل تلك التآلفات البديعة غير محسوسة .

إيفيلين : (بصوت متهدج) — إذا كنت أنا التى تعنينى ياأميديه ، فانت مخطئ .
إنى أسمع مثلك نوعا من اللحن . . المعلق . . الممزق . . المبهم . . (بصوت أكثر انخفاضا) آرنو ، عندما تكون هناك ، سوف تصلى ، أليس كذلك ، لأولئك الذين يفتقرون إلى

الأمل ؟ حتى الموت ، لايدخر لهم وقت الحاجة
أيّ . . أيّ . .

آرنـــو : (في رقة يشوبها الوقار) إنك لاتعرفين يا إيفيلين . . انك لاتعرفين نفسك . . فكل شيء أمامك .

ســتللا : (تقترب) ماهذا الذى تقوله ؟ (إلى ايفيلين) أوه ! انني أعرف كل مايجول بخاطرك .

إيفيـــلين : (في ألم) أنا لاأفكر في شيء ، ولم أعد قادرة على الحكم .

ســتللا : يا للأعجوبـــة الكبرى !

آرنـــو : ستللا !

إيفيـــلين : بل أكاد لا أفهم ماحدث ، هل حدث شيء ؟ (يغلب النعاس على أميديه ، فيغمغم قائلا : «ليس هو الليل . . لاأهمية . . » ترمقه إيفيلين ، ثم تهز رأسها .)

آرنـــو : (في عطف عميق ، وقد سدد عينيه على أبيه) قليل من الوقت ، ثم تتبدد كل هذه الجمل التى فتنته في السكون ، وهذا التصنع الذى خدعه سينحسر عنه ، وهناك ، يبقى وحيدا ، أعزل ،

بلا دفاع ، كطفل غلبه النعاس ، ومابرح محتضنا لعبته . وأمام الشخص الحى الذى يخطب ويلوح بيديه ، ليتنا كنا نعرف كيف نستحضر مضجع الغد ! .. (ينظرون إليه . تتغلب الدموع على إيفيلين ، تنحنى ، وتطبع قبلة على جبين أميديه ، كما قد تفعل ذلك يوما ما ، في في المستقبل ...)

باريس — مورجا
ابريل — يونيو ١٩٣٧